جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس

مختبر الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية

ورقـــات

مجلة حولية يصدرها مختبر الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس

العدد الثاني، 1439هـ/2017م

المدير المسؤول:

د. عبد الإله بنلمليح

رئيس التحرير:

د. عبد المنعم حرفان

هيئة التحرير:

د. حسن عماري

د. الحسن الهلالي

د. الحسين زروق

د. رشيد سلاوي

د. عبد الحي الورياكلي القرشي

د. عبد الرزاق صالحي

د. عبد العزيز احميد

د. لويزة بولبراص

د. محمد الدحماني

د. محمد العلوي

د. محمد الهاشمي

د. نجاة بلعربي

الهيئة الاستشارية:

د. عبد الرحيم الرحموني

د. العياشي السنوني

د. محمد بوحمدي

رقم الإيداع القانوني: 1978/20.

ردمك: ISSN 0258-1132

لوحة الغلاف: الفنان الحسين السخون.

حقوق الطبع والنشر محفوظة لـ:

مختبر الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية

فهرس المحتويات

كلمة العدد 4

من بحوث ندوة «الأدب إلى أين؟»..... 5

الأدب إلى أين؟: د. محمد بوحمدي 7

في الحاجة إلى الشعر العربي: د. الحسين زروق 19

من بحوث ندوة «تحقيق التراث المخطوط: قضايا وتجارب» 37

أجرومية تحقيق الوثيقة: د. العياشي السنوني 39

من ضرورات التحقيق وثقافة المحقِّق: د. عبد الرزاق صالحي 73

أهمية توثيق نسبة النصوص وأثره في بناء الدراسة: د. مصطفى الزكاف 87

تحقيق نسبة المخطوط: صعوباته ومساراته: د. البشير التهالي ود. رشيد كناني... 105

التعليق على النص المحقق: مفهومه وضوابطه: د. حسن عماري 121

قضايا تعريف المصطلحات البلاغية في الكشاف للزمخشري (ت 538هـ) والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(745هـ): د. رشيد سلاوي..... 133

كلمة العدد

هذا هو العدد الثاني من مجلة (ورقات مصطلحية) التي يصدرها (مختبر الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية) بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس.

وقد اختار المختبر منذ هذا العدد أن يجعل عنوان مجلته (**ورقات**) بدل (**ورقات مصطلحية**)، ليناسب سعة اهتماماته، وانشغالاته العلمية، وتعدد فرقه ومساراتها البحثية.

واختار كذلك أن يقدم للقراء أعمال ندوتين من الندوات التي نظمها برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز هما: ندوة «الأدب إلى أين ؟»، وقد نظمها يوم 22 يناير 2015م، وندوة «تحقيق التراث المخطوط: قضايا وتجارب»، وقد نظمها يومي 21 و22 أبريل 2015م.

كما اختار أن يضيف إلى تلك البحوث بحثا آخر مختلفا عن بحوث الندوتين موضوعا ومناسبة حرصا على انفتاح المجلة وتنوع موضوعاتها.

أما بحثا الندوة الأولى في هذا العدد فأجاب أولهما عن سؤال «الأدب إلى أين؟»، وقدم الثاني عددا من مظاهر «الحاجة إلى الشعر العربي».

وأما بحوث الندوة الثانية فقدم أولها «أجرومية تحقيق الوثيقة»، وقدم ثانيها عددا «من ضرورات التحقيق»، وما تقتضيه "ثقافة المحقِّق"، واشترك ثالثها ورابعها في أمر «توثيق النسبة»، إلا أن الثالث تناوله من حيث «أثره في بناء الدراسة»، والرابع تناوله من حيث (صعوباته ومساراته)، وختم خامسها ملف التحقيق بقضايا «التعليق على النص المحقق» من حيث «مفهومه وضوابطه».

وأما البحث الذي من خارج الندوتين، فيتمثل في هذا العدد في دراسة مصطلحية عن «قضايا تعريف المصطلحات البلاغية في الكشاف للزمخشري (ت 538هـ) والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(745هـ)».

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

من بحوث ندوة

الأدب إلى أين؟

الأدب إلى أين؟[1]

د.محمد بوحمدي
كلية الآداب ظهر المهراز- فاس

العنوان الأصلي لهذه المحاضرة: قراءة في كتاب: الأدب في خطر، لتودورف، صدر سنة 2007، وترجمه من الفرنسية عبد الكبير الشرقاوي، صدر عن دار توبقال وهو كتاب جدير بالقراءة والاهتمام، وقع عليه اختياري، وصادف هوى في نفسي، لأنه محاولة جديدة لإعادة الاعتبار للأدب، ينتقد فيه المؤلف بغضب شديد مناهج نقدية مسيطرة في الجامعة الفرنسية، ويرفض النزعة النصية المفرطة التي تختصر العمل الأدبي في كيان لغوي مغلق، وتستخدم اللغة الاصطلاحية بجرعات كبيرة.

غير أن اللجنة العلمية المكلفة بمتابعة الأنشطة الثقافية لمختبر الدراسات المصطلحية ارتأت أن تعدل العنوان لاعتبارات علمية، فاستقر الرأي على أن يكون العنوان الجديد: الأدب، إلى أين ؟

وقد أسعدني هذا التعديل، وسررت به كثيرا، رغم أن المدة التي منحت لي لم تكن كافية لتعميق النظر، والإحاطة بكل جوانب الموضوع الأكاديمية والتربوية والديداكتيكية والإبداعية والاجتماعية، وغيرها، فالموضوع متشعب وله امتدادات في كل الاتجاهات.

إنه موضوع اللحظة الراهنة، فحجم التحديات التي يواجهها الأدب كبير جدا، وهذا ما يشير إليه، ويضمره التساؤل المحير المقلق: الأدب، إلى أين؟ هل ينحدر

[1] - هذا المقال في الأصل عبارة عن محاضرة لفائدة طلبة الدكتوراه، ومن طبيعة المحاضرة التساهل في التوثيق، لأنها للإلقاء لا للنشر، وقد عُدت إليها بعد زمن غير يسير (ألقيت بتاريخ 2015/01/22)، فوثقت ما وسعني أمره، وربما سهوت عن أمور أخرى علقت بذاكرتي لأهميتها، فسال بها لساني وقلمي، ظنا مني أنها لي.

في منحدر سحيق بلا قرار؟ هل يتجه نحو الزوال والاندثار؟ هل سنشهد نهاية الأدب في المستقبل المنظور؟ هل يتصور عالم بدون أدب؟

وفي هذا السياق قرأت خبرا يقول: إن النادي الأدبي بالأحساء[1] في المملكة العربية السعودية، احتضن محاضرة يوم 06 /2015/01، تحت عنوان: موت الأدب وهم أم حقيقة.

وفي الفضاء الإلكتروني نصوص كثيرة تعلن موت النقد هو الآخر، وأن الشعراء وناشئة الأدب لم يعودوا بحاجة إلى نقاد محترفين ومتخصصين، بفضل وسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة.

الأدب، إلى أين؟ هذا التساؤل الحائر القلق يتوجس خيفة من المستقبل، مستقبل الأدب، ووضعيته الصعبة والحرجة في ظل الثورة الرقمية الكاسحة، وفي ظل تراجع أهمية الكتاب الورقي، وبسبب خضوع الأدب لاعتبارات غريبة عنه.

ويتسع مجال الأدب ودائرته في هذا العنوان، لتشمل التدريس، والبحث، والإبداع، أي الدرس الأدبي في المدرسة والجامعة، والبحث الأدبي بشقيه النظري والتطبيقي، الأكاديمي والحر، والإبداع بأجناسه المختلفة، وعلى رأسها الشعر.

ومن أبرز التحديات التي يواجهها الأدب، وتهدد وجوده وسيرورته المستقبلية:

1 - الخلل في منهجية تدريس الأدب في المدرسة والجامعة:

في سياق الرغبة والحرص على تجديد الدرس الأدبي، يتم توظيف مناهج نقدية حديثة، ومفاهيم لسانية تواصلية، اعتقادا من الباحثين والمهتمين أن ذلك يمكن أن يحسن المردودية، ويحقق الجودة في الأداء التعليمي التعلمي في المدرسة والجامعية، وظللنا على مدى أزيد من ثلاثة عقود نبذل جهودا حثيثة لتوظيف المناهج الحديثة في تدريس الأدب، رافعين شعار علمنة الأدب، وموضوعية الأدب، وتقريب الشقة بين العلم والأدب، فالأدب فن ولكن دراسته دراسة علمية، ومن

[1] - لعله من جريدة الرياض السعودية.

أجل ذلك عقدنا أياما دراسية ،ودورات تكوينية، وندوات علمية وطنية ودولية، لبيان أهمية هذه المناهج ونجاعتها، ووجاهة اختيارها كمداخل للدرس الأدبي، ولفهم الظاهرة الأدبية، وكشف دلالاتها الجمالية، وتفكيك خطاباتها التعبيرية. ولم نكن نترك فرصة سانحة دون أن نلح على ضرورة الوعي بأهمية استيعابها وتوظيفها، وها نحن اليوم بعد كل هذا العناء والجهد والعمر نجني ثمارا مرة من بعض ما غرسناه.

إن منهجية تدريس الأدب منهجية غير سليمة، فهي خليط من اللسانيات، والمناهج النقدية المعاصرة، ونظريات الحجاج والتواصل، ترسانة ضخمة من المصطلحات، ومزيج غير متجانس من المفاهيم حوَّلت الدرس الأدبي إلى ورشة لتجريب النظريات النقدية واللسانية والتواصلية كما نجد في الكتاب المدرسي للشعب الأدبية، وفي كثير من الرسائل الجامعية.

فلو أخذنا، على سبيل المثال، الكتاب المقرر للسنة الثانية من سلك البكالوريا، مسلك الآداب والعلوم الإنسانية: في رحاب اللغة العربية، نجد فيه حضورا قويا ومكثفا للمناهج النقدية واللسانيات المعاصرة، يتجلى ذلك في العناوين الكبرى من قبيل:

- تكسير البنية وتجديد الرؤيا[1] .
- من الرؤية إلى الرؤيا[2].
- العوامل الستة التي يضمها النموذج العاملي[3].
- الخطاطة السردية[4].

[1] - في رحاب اللغة العربية: 135.

[2] - نفسه: 169 (العامل المرسل، العامل المرسل إليه، العامل الذات، العامل الموضوع، العامل المساعد، العامل المعاكس).

[3] - نفسه: 146.

[4] - نفسه: 168.

- النموذج العاملي: 1 [1].
- النموذج العاملي: 2 [2].
- أفعال الكلام [3].
- الاتساق [4].
- التغريض [5].
- البنيوية [6].
- الانسجام [7].
- بنية التوتر [8].
- أساليب الحجاج [9].
- ثنائية المغلق والمفتوح [10].
- بنية التقابل [11].
- التزامن [12].
- التعاقب [13].

---

[1] - نفسه: 168.

[2] - نفسه: 181.

[3] - نفسه: 190.

[4] - نفسه: 224.

[5] - نفسه: 226.

[6] - نفسه: 239، 265.

[7] - نفسه: 233.

[8] - نفسه: 249.

[9] - نفسه: 253، 261.

[10] - نفسه: 257.

[11] - نفسه: 264.

[12] - نفسه: 265.

[13] - نفسه: 265.

- الطابع اللاوعي للظواهر[1].

ولا جدال في أن الكفايات المستهدفة من تأليف الكتاب على هذا النحو نبيلة وطموحة وطيبة، غير أنها تفوق قدرة التلميذ على الفهم والاستيعاب. رصيد ضخم من المصطلحات المرتبطة بالنظريات اللسانية والاتجاهات الأدبية، والمناهج النقدية المتداولة في الخطاب الأدبي المعاصر.

ولا أشك في أنها تشكل عبئا ثقيلا، أيضا، على فئة من الأساتذة الذين لا يمتلكون المعارف الجديدة، وربما لم ينتسبوا إلى الجامعة في يوم ما، إذ يتعين على من يتصدى لدراسة الأدب أن يكون لديه اطلاع واسع وعميق على مختلف المناهج، وأن يتعمق في فلسفتها قبل التفكير في تبنيها.

هذا هو الجانب النظري الفلسفي الذي يعوز الدرس الأدبي، وهكذا فإن منهجية الدرس الأدبي تعاني من الخلل، ومن مظاهر هذا الخلل:

أ - التركيز على المنهج والاهتمام به أكثر من الأدب، مع أن المناهج مجرد أدوات للتحليل، نتخذها مطية ووسيلة لكشف المعنى، ويعجبني كثيرا نص للجاحظ، يعرف فيه البيان :

" البيان هو كل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام"[2].

ولو وضعنا المنهج مكان البيان لكان في غاية الانسجام مع الهدف المتوخى من اصطناع منهج من المناهج:

المنهج هو كل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب... إلى آخر نص الجاحظ.

فالمنهج ضرورة علمية، إذ لا يمكن ترك الحبل على الغارب وإطلاق العنان للقارئ ليقول ما يشاء اعتمادا على ذوقه الشخصي، بل لابد من سند علمي، ولابد

---

[1] - نفسه: 265.

[2] - البيان والتبيين، 76/1.

من ضوابط منهجية، لأن القراءة إما أن تكون منهجية أو لا تكون. ولكن الاهتمام الزائد بالمنهج على حساب النص أمر مستهجن، وربما ألحق الضرر بالنص.

وكما جاء في كتاب: الأدب في خطر، فإن المدرسة والجامعة كلتيهما لا تعلمان ما تتحدث عنه الأعمال الأدبية بقدر ما تعلمان ما يتحدث عنه النقاد، وهذه الفكرة نفسها هي محور كتاب آخر صدر بباريس منذ عدة سنوات[1] يشرح فيه الكاتب وجهة نظره فيما يتعلق بالبنيوية، والتفكيكية التي خرجت من رحم البنيوية، وتدرج في خانة ما يسمى الآن: ما بعد الحداثة، أو ما بعد البنيوية.

إن في التركيز على المنهج والمبالغة في الاهتمام به خذلانا للتلاميذ في المدرسة، وللطلبة في الجامعة، لأننا نعلمهم المنهج بدلا من الأدب.

ب - التمسك بمناهج مندثرة منذ زمن طويل بعد أن هجرها أصحابها وعزف منها منظروها الكبار كالبنيوية الحاضرة بقوة في الكتاب المدرسي للسنة الثانية باكلوريا لغة عربية [2]، والاتجاهات البنيوية أخذت في التراجع والانسحاب من رحاب الجامعة قبل نهاية القرن العشرين ببضع سنوات.

لقد انحسرت البنيوية كما ينحسر الضباب من أعماق الوادي بشأنها في ذلك شأن الكثير من النظريات والمناهج والفلسفات التي انتهت واندثرت، لأن لها أعمارا افتراضية، ومدة صلاحية محدودة، وكما قيل: إن المناهج كالأشجار تجف وتذبل إذا نضجت ثمارها.

ورغم هذه الحقيقة، فإن من بيدهم الأمر يصرون على أن يضمنوا الكتاب المدرسي الاتجاه البنيويَّ الشكلاني الذي ازدهر قبل منتصف القرن العشرين ولم يأخذوا بعين الاعتبار أن البنيوية بنيويات: شكلانية، تكوينية، أسلوبية، نفسية..

---

[1] - عنوان الكتاب: الأدب والعلوم الإنسانية، من موضوعاته: الأدب والتاريخ والمجتمع - من الأدب إلى التاريخ - من التحليل النفسي التطبيقي إلى الأدب التطبيقي - الأدب وأصول الأجناس البشرية (الإثنوغرافيا) ..

[2] - في رحاب اللغة العربية، المطبوع سنة 2012.

واختيار المقاربة البنيوية الشكلانية تجاهل لطبيعة النص الإبداعي والشعري منه خاصة، الذي يعتبر من الأنشطة الأكثر تعقيدا وصعوبة، لأنه شبكة من الأسرار
التعبيرية التي يحتاج إدراكها إلى رجاحة عقل، وصحة بصر، وخبرة بالأساليب.

فالنص الشعري بستان، أو محارة، أو روضة أنُف، بتعبير الشاعر القديم، بها عشرات الأزاهير بألوان قوس قزح، أو إن النص الشعري نسيج مؤلف من آلاف الخيوط الملونة، والبنيوي أحادي النظرة لا يرى إلا لونا واحدا، ولا يستوقفه إلا بعدٌ واحد.

إن النقاء المنهجي في دراسة النص صعب إن لم يكن مستحيلا، والحدود بين المناهج الحديثة حدود وهمية أشبه ما تكون بالحدود بين علوم اللغة العربية كالنحو والبلاغة والنقد الأدبي، أو بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة، فالحدود بينها حدود وهمية تتهاوى وتسقط عند أول خطوة يخطوها دارس النص.

والمناهج الحديثة موروث بعضها من بعض، وقائم بعضها على بعض، ولا يستطيع منهج من تلك المناهج أن يدعي أنه مقطوع الصلة بغيره.

ج - من مظاهر الخلل في منهجية تدريس النص الأدبي الانسياق خلف بريق الأشكال والقوالب والجداول والإحصاءات، بدعوى إضفاء الطابع العلمي على الدراسة الأدبية، فيجيء التحليل مثقلا بالأرقام والإحصاءات والجداول، وبدل أن تكون هذه الأدوات مجرد وسائل تتحول إلى غاية في حد ذاتها، مع العلم أن النص هو بنية جمالية وينبغي أن ينظر إليه على هذا الأساس، والتعويل على التحليل الإحصائي وحده لن يحقق شيئا ذا بال.

د - ومن مظاهر الخلل في منهجية تدريس النص الأدبي تهميش المضمون: إن كثيرا من المناهج النقدية الحديثة تهمش المعاني الجميلة والقيم الرفيعة التي يتضمنها الأدب الإبداعي خاصة، ولابد من مراجعة جذرية لمنهجية تدريس الأدب لتصحيح مساره، والعودة به إلى الوجهة الصحيحة حيث المعنى هو الجوهر الذي يسعى إلى تحقيق الكمال الإنساني، وأعني بالمعنى هنا المعنى الفني حيث يكون الأدب

حافزا على التفكير في القضايا الكبرى بعيدا عن الاهتمام المفرط بالشكل الذي يحجب الرؤية،
ويؤدي إلى الإغراق في التجريب.

ولابد من التأكيد على ربط الأدب بالإنسان وبالتاريخ، والمحيط، والمجتمع والبيئة بمفهومها الواسع، فالنص كما يقول إدوارد سعيد بنية وحدث[1] structure and Event فالقصيدة، والرواية، والقصة هي ذاكرة مكتوبة للأجيال القادمة، لأن المبدع صاحب رؤية وقضية وموقف ومسؤوليته لا تقل جسامة عن مسؤولية رجل الدولة.

2 - من التحديات التي تهدد وجود الأدب ومستقبله كذلك مَهْننة التعليم أو تمهينه بمعنى اختزال دور المدرسة والجامعة في التكوين المهني، وإعداد الخريجين للاندماج في سوق الشغل، ويتجلى هذا التوجه، وهذه الرؤية الاستراتيجية، من بين ما يتجلى، في القولة المشهورة " ربط الجامعة بالمحيط، أو انفتاح الجامعة على المحيط " وهو ما يعني ربط مخرجات التعليم الجامعي بسوق الشغل، وأغلب المتعلمين مقتنعون بهذه المقولة كما لو أنها حقيقة يقينية مطلقة، مما أفقدهم أهم دوافع التعلم، وهو الشغف، والشوق، والحافز والرغبة في ولوج مجتمع المعرفة، وحين يفقد التعليم الدهشة والشغف يصبح بلا جدوى.

إن التلاميذ في الثانوي التأهيلي، مثلا، يختزلون دور التعليم ودور المدرسة في التكوين المهني، تناغما مع المقولة السابقة.

ويرددون مصطلحات ذات علاقة باقتصاد السوق، من قبيل: إذكاء روح المبادرة، والمقاولات الصغرى والمتوسطة، والاندماج في سوق الشغل، وعالم المال والأعمال، والفكر المقاولاتي، وإرساء ثقافة المقاولة ...

ولذا فإن أغلبهم غير مقتنعين بجدوى قراءة ودراسة النص الأدبي، إذ يمثل حظ العلوم الدقيقة كالرياضيات، والفيزياء، 50 % بينما احتل الدرس الأدبي

[1] - العالم والنص والناقد: 105.

المرتبة الأخيرة بعد الفلسفة والاجتماعيات[1]، فالمعارف الأدبية، بالنسبة إليهم، معارف غير ذات أهمية وقيمة، ولا تفيد في الحياة العملية، وما قيمة التعليم إذا لم يكن إعدادا للحياة؟

3 - من المخاطر الكبرى التي تهدد مستقبل الأدب الثورة الرقمية:

يجمع علماء التواصل والميديا على أن الكتابة مزدهرة بشكل غير مسبوق، ويقصدون، طبعا، الكتابة الإلكترونية، ولكنه ازدهار خادع ومضلل، فالجميع يكتب كيفما اتفق بلا رقيب ولا حسيب، ودون احترام لقواعد اللغة الإملائية والنحوية، فالأرقام تحل محل الحروف، والألفاظ ركيكة وسوقية، والأسلوب غاية في الانحطاط[2].

وقد خلقت هذه الكتابة الإلكترونية الهجنية البئسة قارئا سطحيا، ذا ذائقة مشوهة، وأنتجت أدبا بلا طعم ولا روح من مثل قول أحدهم في قصيدة الكترونية:

بيني وبين النّت علاقة

والله يستر من هذي العلاقة

ويقول الروائي والناقد الأردني محمد سناجلة صاحب الرواية الرقمية: ظلال الواحد، يقول:

إن العصر الرقمي سيؤدي إلى موت الأجناس الأدبية التي كنا نعرفها سابقا، والعصر الرقمي سينتج أدبا جديدا هو مزيج من القصة، والشعر، والمسرح، والسينما، والبرمجة.

ويقول: إن الكلمات في العصر الرقمي لم تعد تشكل لغة الكتابة وحدها بل غدت الكلمة جزءا من كل ذلك، والكاتب في العصر الرقمي عليه أن يكون ملمـــا

[1] - نوقشت بكلية الآداب، ظهر المهراز، أطروحة جامعية بتاريخ 07/18/ 2016، تحت إشرافي، عنوانها: " تدريسية النص الأدبي بالثانوي التأهيلي، بين النظرية والتطبيق" قدمت خلاصات مهمة لمشاكل تدريسية النص الأدبي بالثانوي التأهيلي والاختلالات التي تكتنفها ...

[2] - من مقال بعنوان: الكتابة سريعة الذوبان، جريدة الحياة اللندنية بتاريخ 28 /10/ 2013.

البرمجة المختلفة، وتعلم برامج متعددة ليس أقلها الفوتوشوب، والفلاش ماكرو ميديا[1].

4 - الغموض: من التحديات التي تواجه الأدب في شقه الإبداعي الغموض، ولكنه غُموض تمحُّلٍ، وغموض قصور، وغموض ألغاز، يقول أحد النقاد: إذا كانت الحداثة هي الهاتف النقال، والحاسوب، والإنترنيت فسأمدحها، ولكن إذا كانت الحداثة هي هذا الغموض الذي يلف الشعر الحديث فسأوسعها ذما.

لقد أصبح الغموض واجب الوجود في القصيدة الحديثة، والأولى أن يقال عنها عصيدة، وليس قصيدة، بتعبير أحمد درويش، والشعراء الذين يكتبون شعراً بهذه المواصفات ينفرون القارئ، ويدفعونه دفعا إلى البحث عن وسائل أخرى بديلة تشبع فضوله، وتروي ظمأه، لأنه شعر منزوع الوسم، بلا عمود فقري، وبلا تجربة ولا معنى،، وكما قال شاعر سوداني ساخراً ومتندِّراً:

وحدثني فلم أفقه حديثه *** كأنَّ حديثه الشعر الحديث

وحين يغيب المعنى تتحول الكلمات إلى مجرد أصوات وحروف وحبر على ورق أو سواد على بياض، مثل هذه الأبيات لشاعر الكتروني أصدر ديوانه الرابع الذي يتضمن 130 نصا قصيرا، وسماه: ما يشبه الهايكو، وعلى ظهر الغلاف هذه الأبيات، ولابد أنها أجمل ما في الديوان:

مرةً اكتريت لجسدي تابوتا
واشتريت له كفناً
وحفرت له قبراً
لكنه أبى إلا أن يكون رماداً

وهو إصدار حديث العهد قرأته قبل أيام فقط.

ويذكرني هذا النص ونصوص أخرى كثيرة قرأتها في مختلف مواقع الشابكة،

[1] - الموقع Avito.ma رقم 1.

بما ورد في كتب تاريخ الأدب العربي من أن شاعرا جاء إلى الرشيد فقال: قد هجوت الرافضة. قال: هات.

فأنشد :

رَغْماً، وشَمْساً، وزَيتوناً، ومَظْلَمَةً *** من أن لاَ من الشَّيْخَيْنِ طُغْيَانَا

قال الرشيد: فَسِّره لي: قال الشاعر: لا، ولكن أنت وحَسْبُك، اجْهد أن تدري ما أقول، فإني، واللهِ، ما أدري ما هو.

إن البيت موزون على البحر البسيط، ومفرداته عادية مألوفة، ولكنه خال من المعنى، والشاعر نفسه يعترف أنه لا يعرف، وأكيد أن الكثير من الشعراء على شاكلة هذا الشاعر المزيف، عديم الموهبة، ولكنه، على الأقل، يتحلى بفضيلة التواضع، فهل يضر القصيدة الحديثة أن تكون واضحة، هل يضعف الوضوح طاقتها الشعرية؟ أليست البساطة والوضوح هي التي أبقت القصيدة الشعرية القديمة حية في وجدان الإنسان العربي كل هذه الأزمنة والقرون ؟ نقرأها اليوم كما لو أنها كتبت لنا نحن وليس للأمس الدابر ونقرأ بعض الشعر الحديث وكأننا نسير في الوحل.

5 - من التحديات التي تهدد مستقبل الأدب كذلك تقليص الوعاء الزمني للأدب، فحدود مملكته في كليات الآداب آخذة في التقلص والانكماش، لا أملك أرقاما دقيقة لعدد ساعات تدريس الأدب ولكن نظرة سريعة في استعمالات الزمن لفصول الإجازة الستة كفيلة بتأكيد هذا الانطباع.

في الحاجة إلى الشعر العربي

د. الحسين زروق
كلية الآداب ظهر المهراز- فاس

توطئة:

مدار العنوان على أمرين: الحاجة، والشعر العربي:

أما لفظ «الحاجة» فدال على ضرورة الشعر العربي الآن؛ ففي مقاييس اللغة: « حوج: الحاء والواو والجيم أصل واحد، وهو الاضطرار إلى الشيء»[1].

وأما الشعر العربي فالمقصود به أمران:

أولهما الشعر العربي أصالة، لا الشعر العربي تبعا، وإنما كان أصالة؛ لأنه عربي النشأة والمنزع والتطور...

والثاني الشعر العربي في قوته لا في لحظات انحطاطه.

ثم إن العنوان المختار ينطوي على سؤال هو: هل ما زلنا في حاجة إلى الشعر العربي؟

إننا في حاجة ماسة إلى مثل هذه الأسئلة؛ لأنها هي التي تسمح لنا بقياس حجم اتصالنا بتراثنا أو انفصالنا عنه.

أهمية سؤال الجدوى كامنة في أنها تسمح لنا بتجديد الوعي بتراثنا؛ والأكثر من ذلك أنها تسمح لنا بتجديد الإيمان بذلك التراث.

ومن حقنا أن نفرّع على السؤال الأول سؤالا آخر هو: هل ما زلنا نؤمن بأن الشعر العربي يستحق البقاء لنفسه ولنا؟

ذلك ما نحاول الإجابة عنه في هذا البحث من خلال المحاور الأربعة التالية:

أولا: في الوضع الذي كان عليه الشعر.

---

[1] – مقاييس اللغة، 114/2، مادة حوج.

ثانيا: في التحول الذي عرفه وضع الشعر.

ثالثا: في التحدي الذي تعرض له الشعر.

رابعا: في ضرورة الشعر العربي.

أولا: في الوضع الذي كان عليه الشعر في الأول:

عبّر العرب عن واقع الشعر وأهميته عندهم بتعابير عدة، في مقدمتها اثنان:

1- العلم الأصح:

نعلم جميعا أن الشعر لم يترك مجالا من مجالات الحياة العربية في الجاهلية إلا طرقه، وسجل حضوره فيه، وأن عددا من مسارات هذه الحياة ما كان لنا لنعرفها لو لم يحتفظ لنا الشعر بصورة عنها، ولقد قاد هذا الحضور القوي له في الحياة الثقافية العربية رجلا من عيار عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القول فيما رواه ابن سلام عن ابن عون عن ابن سيرين: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»[1]، وفي قوله أمور من الأهمية بمكان تَعوَّدنا أن نمر عليها مرّا سريعا:

فهو يقول «كان»، وفيه فائدة، وهي أنه لم يعد أصح علم؛ وكيف يكون كذلك وقد جاء الإسلام بالوحي قرآنا وسنة، وشتان ما بين صحته وصحة الشعر، والأمر هنا يتعلق بطبقة في الصحة، لا بالصحة والضعف، وقد أفاد ذلك أن مقصود عمر هو ما كان عليه الشعر قبل الإسلام.

وفي قول عمر بيان للقيمة التي كانت للشعر.

وفيه كون العرب كانت لهم علوم؛ منها الشعر.

وكون الشعر كان أهم علم لدى العرب، يفيد أنه لم يكن لهم علم يضاهيه، فضلا عن أن يفضله.

والمسألة مسألة صحة، فعِلم الشعر كان أصح علم لدى العرب، ويُفهم من هذا أن العلوم التي كانت للعرب لم تكن بالدرجة نفسها من الصحة.

[1] – طبقات فحول الشعراء، 24/1.

2- ديوان العرب:

ينسب إلى عمر رضي الله عنه أنه قال: «عليكم بديوانكم شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعانيَ كلامكم»[1].

يستعمل عمر هنا مصطلح الديوان، ويجعل شعر الجاهلية ديوان المسلمين، ويُقدّم له فائدتين: فيه تفسير القرآن الكريم، وتفسير معاني كلام العرب.

وكلام عمر في النصين السالفي الذكر يشبه كلاما منسوبا إلى ابن عباس أيضا، فقد ذُكر عنه، رضي الله عنه، أنه قال: «إذا قرأتم شيئا من كتاب الله، فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب»[2].

لنلاحظ أن النصين السالفي الذِّكر يوليان وجههما شطر ثلاث جهات:

جهة الشعر العربي،

وجهة العرب،

وجهة القرآن الكريم،

وخلاصة ذلك كله أنه لما كان الشعر أهم ما أنتجه العرب، فإنه وسيلة جيدة لفهم كلامهم أولا، ثم لفهم كلام الله تعالى.

وقد صار التعبير بمصطلح «ديوان العرب» بعْدُ متداولا عند العرب للدلالة على فَضْل الشعر وقيمته، نَجِد ذلك عند ابن سلام (ت231هـ)[3]، وابن عبد ربه (ت328هـ) [4]، وأبي هلال العسكري (ت395هـ) [5]، وابن فارس (ت395هـ)[6]...

وكوْن الشعر ديوانا حَمَل، بَعْدُ، دلالة أخرى لَخَّصها أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ) بقوله: «والشعر ديوان العرب، وبه حُفظت الأنساب، وعُرفت

---

[1] – الجامع لأحكام القرآن، 111/10.

[2] – العمدة، 90/1. وفي رواية العقد الفريد، 281/5 «الشعر علم العرب وديوانها».

[3] – طبقات فحول الشعراء، 24/1.

[4] – العقد الفريد، 269/5.

[5] – كتاب الصناعتين، ص: 138.

[6] – الصاحبي، ص: 467.

المآثر، ومنه تُعلمت اللغة، وهو حُجة فيما أشكل من غريب كتاب الله، جل ثناؤه، وغريب حديث رسول الله، ﷺ، وحديث صحابته التابعين»[1]، وقد أفاد النص أمرين:

أولهما أن الشعر ديوان العرب بمعنى أنه جامع لتفاصيل حياتها.

والآخر أنه لكونه كذلك صار ذخيرة معرفية وجَدتْ فيه مختلفُ العلوم بعْدُ امتدادَها وضالَّتها، وقد ذكر من ذلك الأنساب والمآثر واللغة وغريب القرآن والحديث...

ثانيا: في التحول الذي عرفه وضع الشعر:

1- من المركز إلى المحيط:

بإمكان المرء أن يقول: إن ما قدمه الشعرُ للعرب في الجاهلية وَصل مرحلة من الاستقرار، فكأن هذا العلم كان في حاجة إلى روح جديدة تنفخ فيه ليخرج إخراجا آخر، ولينطلق انطلاقا آخر، فما هو إلا أن جاء الإسلام ونزل الوحي على محمد ﷺ حتى بدأت مكانة الشعر تتزحزح، ثم إذا به ينتقل من المركز إلى الهامش أو المحيط؛ لأن المركز صار للوحي، فمن ثم تفجرت علوم جديدة لا عهد للعرب بها في مقدمتها علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلمُ الفقه، وعلم الأصول، وهلم جرا...

وتبدو قصة لبيد مع عمر بن الخطاب هنا مفيدة ودالة على ذلك التحول، فقد ذكر ابن سلام الجمحي أن عمر كتب إلى عامله: «أن سل لبيدا والأغلب ما أحدثا من الشعر في الإسلام» فقال لبيد: «قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران»[2].

الشاهد في نص لبيد أثر القرآن في الناس، وكيف أنه حَلّ محل الشعر عنده، وهي طريقة من طرق الأثر يكاد لبيد ينفرد بها، ولكنها دالة، والمعروف المقطوع به أن مجيء القرآن لم يُضعف الشعر؛ بل قواه كما سنرى بعد، وأن الشعراء استمروا يقولونه، وأن الصحابة كانت لهم مجالس يتناشدونه فيها في زمن

---

[1] – م.س.

[2] – طبقات فحول الشعراء، 135/1.

الرسول ﷺ وبعده، فقد روى الترمذي «عن جابر بن سمرة، قال: جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشِّعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، فربما تبسم معهم» [1]، وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الوالبي (ت100هـ) أنه قال: «كنا نجالس أصحابَ رسولِ الله ﷺ فيتناشدون الأشعارَ ويَذكرُون أمرَ الجاهلية» [2].

2- الآفاق الجديدة.

نقرأ في تقديم ابن قتيبة لكتابه (الشعر والشعراء): «هذا كتاب ألفته في الشعراء... وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء، الذين يعرفهم جل أهل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله ﷺ... ولعلك تظن رحمك الله أنه يجب على من ألف مثل كتابنا هذا ألا يدع شاعراً قديماً ولا حديثاً إلا ذكره ودلك عليه، وتقدّر أن يكون الشعراء بمنزلة رواة الحديث والأخبار، والملوك والأشراف، الذين يبلغهم الإحصاء، ويجمعهم العدد.

والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام، أكثر من أن يُحيط بهم محيطٌ أو يقف من وراءِ عددهم واقفٌ، ولو أنفد عمره في التنقير عنهم، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال. ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعرٌ إلا عرفه، ولا قصيدةٌ إلا رواها» [3].

وفي نص ابن قتيبة أمور:

منها أن تأليفه في الشعر والشعراء مرتبط بالوظيفة التي أداها الشعر في الاحتجاج «في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله ﷺ».

---

[1]- صحيح سنن الترمذي، 137/3، ح.ر 2850، ك. الأدب، ب.ما جاء في إنشاد الشعر، وقد علق عليه الترمذي بقوله: «هذا حديث حسن صحيح»، وقال الألباني: «صحيح».

[2] – كتاب الأدب لأبي بكر بن أبي شيبة، ص: 360، خبر رقم 386.

[3] – الشعر والشعراء، 59/1-60.

ومنها كثرة الشعراء كثرةً تستعصي على الإحصاء،

ومنها كثرة الشعر،

ومنها أن الأمر في ذلك سيان في الجاهلية والإسلام.

3- تثبيت الحضور:

لنعُد إلى التحول الذي أحدثه نزول الوحي في الحياة الأدبية، عموما والشعر خاصة؟

أما كونه إبداعا فقد استمر إبداعه، ولم يتوقف وما كان له: لا أثناء نزول الوحي ولا بعد انقطاعه.

وأما كونه علما فقد ضُخت فيه دماءٌ جديدة، فسرعان ما وجد المسلمون الحاجة ماسة إلى علوم عديدة ترتبط ارتباطا وثيقا بالوحي، فكانت نشأة علوم العربية، وما سُمي عموما بعلوم الآلة، وكان انطلاق غالبها من الشعر العربي مما هو معروف، ونشأ علم العروض لضبط هذا الشعر الذي صارت له هذه الأهمية بعد أن لم تكن.

وإذن فالتحول الذي عرفه الشعر من حيث الانتقال من المركز إلى المحيط لم يؤثر عليه سلبا؛ بل إيجابا.

وأمر أهم من هذا كله هو أن هذا الشعر كُتب له الذِّكر المستمر ما استمر الوحي، وحسبنا أن نشير هنا إلى أن مادة «شعر» حاضرة في القرآن الكريم في سبعة مواضع[1]، وتجاوز عدد الأحاديث النبوية الخاصة بالشعر والشعراء 70حديثا صحيحا، و170حديثا ضعيفا[2].

يضاف إلى ذلك أن العرب سلَكوا في عنايتهم بالشعر ثلاثة مسارات:

[1] - الأنبياء، 5، والشعراء، 223-226، ويس، 69، والصافات، 36، والطور، 28، والحاقة، 41. وفي سورة الشعراء استعمالان: اسم السورة والآيات المذكورة.

[2] – ن. نصوص الشعر والشعراء، 520/2.

مسار قول الشعر والحض عليه؛ إذ قول الناس الشعْرَ أفضلُ وسيلة للحفاظ عليه وجعْلِه حاضرا باستمرار في الحياة اليومية، وتحويل ذلك إلى مشاركة جماعية.

ومسار الرواية والحفظ، والحض عليهما، والنصوص في هذا كثيرة تحفل بها أبواب فضل الشعر في عدد من المصادر الأدبية والنقدية[1].

ومسار النقد، قراءةً للمنجز، وتقويما له.

تلك المسارات الثلاثة هي التي ضمنت للشعر العربي أن يستمر في الحضور بقوة في الحياة اليومية للناس، بالرغم من كونه فقَد بعد مجيء الوحي الريادة الثقافية، وتحول من مركز الدائرة إلى محيطها...

ثالثا: في التحدي الذي تعرض له الشعر:

إذا كان الشعر قد خرج سالما وأقوى مما كان بعد نزول الوحي، فإنه قد تعرض بعدُ لتحديات حدّت من قوة انطلاقه، وشدَّته شدا نحو الخلف، وفي مقدمة تلك التحديات ثلاثة:

1- المعركة مع النثر:

عقَد عدد من النقاد مفاضلة بين النظم والنثر، واختلفت نتائجها:

فمنهم من فضل النظم، كابن رشيق (ت456هـ)[2]، ومظفر العلوي(ت656هـ)[3].

ومنهم من فضل النثر، كالثعالبي(ت429هـ) [4]، وابن بسام(ت542هـ) [5]، وابن الأثير(ت637هـ) [6].

---

[1] – كعيون المعارف، 185/2، والعقد الفريد، 269/5 وما بعدها، والعمدة، 74/1-93، ونضرة الإغريض، ص: 352-388.

[2] – العمدة، 74/1-93.

[3] – نضرة الإغريض، ص: 358-360.

[4] – نثر النظم ص: 7-8.

[5] – الذخيرة، 18/1.

[6] – المثل السائر، 5/4.

وقد لا تهمنا كثيرا نتائج ذلك بقدر ما يهمنا أن في المفاضلة نفسها إنقاصا من قيمة الشعر، وتراجعا عن الامتياز الذي تمتع به طويلا، وقد قيل قديما:

ألم ترَ أن السيفَ يَنقُصُ قيمةً *** إذا قُلتَ إنَّ السيفَ أمْضى مِن العصا[1]

وقد لا يكون غريبا أن نلاحظ أن سبب المفاضلة انتشار مهنة الكتابة وغزارتها، وازدهار الترسل، وظهور عدد من الكتاب شكلوا طبقة متخصصة في الكتابة للسلطة غالبا ما يكون ذلك في ديوان الرسائل، وهؤلاء إما أنه لم تكن لهم علاقة بالشعر، أو كانت علاقتهم به محدودة، ومن هؤلاء عبد الحميد الكاتب (ت132هـ)، وعبد الله بن المقفع (ت142هـ)، وابن العميد (ت360هـ)... وإذن فالمفاضلة في جزء منها دفاع عن المهنة أولا، وعن اختيار ثقافي ثانيا.

2- الزهد في الشعر العربي:

نقصد بالزهد في الشعر العربي الموقف السلبي لعدد من العلماء والعبّاد منه، وهو في جميع الأحوال موقف منبعث من داخل الأمة الإسلامية، وله مبررات منبعثة من ثقافة هذه الأمة.

وقد ظهر الزهد في الشعر العربي مبكرا، وأمكننا أن نسمع أصوات علماء يكرهونه، فقد ذكر الجاحظ عن الأصمعي أنه قيل لسعيد بن المسيب (ت94هـ): «ههنا قوم نُسّاك يَعيبون إنشادَ الشعر، قال: نَسَكوا نُسْكا أعجميا»[2].

ولابد من ملاحظة أن الأمر يتعلق أولا بنسّاك، وثانيا بإعابة إنشاد الشعر، فإذا كانوا قد عابوا الإنشاد، فإن إعابتهم الإنشاء من باب أولى.

وتسمية مذهب هؤلاء بالنسْك الأعجمي قد يفيد انصراف العجم -عموما- الذين يعيشون في البلاد الإسلامية عن الشعر العربي؛ إذ من المستبعد أن يكون المقصود انصراف العجم في بلادهم عن الشعر الذي بِلُغَتِهم.

ومهما يكن فالأهم من ذلك أن الانصراف عن الشعر العربي من لدن المسلمين مسلك غير عربي.

---

[1] – نصرة الثائر على المثل السائر، ص: 389.

[2] – البيان والتبيين، 202/1.

وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، كذلك يذكُر لنا في زمانه أن قوما زهدوا في الشعر، وأن زهدهم هذا لا يخلو «من أمور:

أحدها: أنْ يكون رفضه له وذمه إياه من أجل ما يجده فيه من هزل أو سخف، وهجاء وسب وكذب وباطل على الجملة.

والثاني: أن يذمه؛ لأنه موزون مقفى، ويرى هذا بمجرده عيبا يقتضي الزهد فيه والتنزه عنه.

والثالث: أن يتعلق بأحوال الشعراء وأنها غير جميلة في الأكثر، ويقول: قد ذُمُّوا في التنزيل»[1].

ونضيف إلى ذلك أن تخصيص عدد من النقاد لباب أو أبواب في كتبهم لفضل الشعر وقيمته قد لا يخرج عن هذا الجو الذي ظهرت فيه مثل هذه الأفكار، وحسبنا هنا أن نشير إلى ما فعله ابن قتيبة، وابن عبد ربه، وابن رشيق... كما سبق.

3- التزهيد في الشعر العربي:

إذا كنا قد أطلقنا على موقف عدد من المسلمين من الشعر العربي لفظ الزهد، فإننا نطلق لفظ التزهيد على الحركة المنطلقة من خارج الأمة، الهادفة إلى التخلص جزئيا أو كليا من هذا الشعر، وليس غريبا أن تكون الحركة منطلقة من جهود عدد من المستشرقين، وسنكتفي هنا بنموذج واحد منهم هو مرجوليوت:

فقد كتب في أبريل عام 1925م: «كل الشعر الجاهلي مشكوك فيه، وربما أيضا كان الشعر السابق على العصر الأموي، والممالك السابقة على الإسلام والمعروفة لنا من النقوش كانت عالية الحضارة، لكن لا يبدو أنه كان فيها شعر... وبالجملة فإن الاحتمال الأرجح، فيما يبدو هو افتراض أن الشعر والنثر المسجوع مستمدان كلاهما في الغالب من القرآن، وأن المحاولات الأدبية التي سبقت كانت أقل، وليست أكثر حظا من الفن»[2].

ومبررات مرجوليوت هي:

---

[1] – دلائل الإعجاز، ص: 11.

[2] – نشأة الشعر العربي، ضمن «دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي»، ص: 127.

1- خلو النقوش العربية من الإشارة إلى الشعر العربي[1].

2- حملة القرآن على الشعراء «كلامه عن الشعراء فيه شدة وازدراء»[2].

3- غياب وجود أي كتابة للشعر الجاهلي؛ لأن القرآن يسأل أهل مكة «أم لكم كتاب فيه تدرسون»[القلم، 37][3].

4- حركة الانتحال والوضع، «والجمّاعون الأوائل للشعر كانوا -مثل حماد- في الغالب ذوي وازع ضعيف في انتحال الشعر»[4].

5- تعبير الشعر الجاهلي عن الأفكار الإسلامية فقط، وخلوه من المعتقدات المخالفة له[5].

6- كون لغة الشعر الجاهلي هي نفسها لغة القرآن[6].

7- خلو القرآن من أي إشارة إلى الموسيقى، مع أنها إحدى أهم عناصر الشعر الموصوف بأنه جاهلي[7].

ويكفي المرء، ليرُد كل تلك المبررات، تقديم أسئلة من قبيل:

- أكان من الضروري أن تشير النقوش إلى الشعر الجاهلي والإسلامي؟

- أكانت لغة القرآن -ألفاظا وبناء- لغة جديدة على العرب أم كانت منتشرة بينهم قبل مجيئه، ومن ثم لم يجدوا صعوبة في فهمه وقت نزوله؟

- هل وجود أفراد قلائل نشطوا في الوضع والنحل مبرر كاف لرفض ذلك الشعر كله جملة وتفصيلا؟

---

[1] – م.س، ص: 91.

[2] – م.س، ص: ص: 97.

[3] – م.س، ص: 99.

[4] – م.س، ص: 104

[5] – م.س، ص: 91.

[6] – م.س، ص: 118.

[7] – م.س، ص: 125-126.

- هل قرئ الشعر الجاهلي كله، ودُرِس كله، ووُجد خاليا من الإشارة إلى المعتقدات والأديان في الجاهلية؟ ثم عن أي مصدر استقت الكتب التي ألفها العلماء المسلمون -كابن الكلبي- عن الأصنام والأوثان في الجاهلية؟

لاريب أن الأمر ليس أمر بحث علمي رصين منزه عن الأهواء والعصبية الحضارية؛ بل أكبر من ذلك وأخطر، فالدكتور عبد الرحمن بدوي يذكر عن مرجوليوت بأنه نشر دراسات عن الإسلام «كانت تسري فيها روح غير علمية ومتعصبة، مما جعلها تثير السخط عليه ليس فقط عند المسلمين، بل وعند كثير من المستشرقين... ولهذا فإن فضل مرجوليوت الحقيقي ينبغي أن يلتمس لا في هذه الأبحاث المغرضة؛ بل في نشراته الكثيرة، وعلى رأسها نشرته لكتاب «معجم الأدباء» لياقوت...، ولرسائل أبي العلاء المعري...» [1].

بالرغم من تلك العصبية كان لأفكار مرجوليوت وغيره صدى قوي لدى عدد من نقاد العرب، ومنهم الدكتور طه حسن في كتابه (في الشعر الجاهلي)، وهذا نموذج من نصوصه في ذلك:

«الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام...وأكاد لا أشك في أن ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا، ولا يدل على شيء»[2]، والمبررات هي نفسها:

1- اختلاف صورة العرب بين ما في الشعر الموصوف بالجاهلي وما في القرآن الكريم[3].

2- التباين بين لغة العصر الجاهلي ولغة الشعر المنسوب إليه، ومشابهة لغة هذا الشعر للغة القرآن الكريم[4].

---

[1] – دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص: 318.

[2] – في الشعر الجاهلي، ص: 17.

[3] – م.س، ص: 29.

[4] – م.س، ص: 35.

3- كون العرب لم تكن تكتب[1].

4- كثرة وتنوع دواعي انتحال الشعر[2].

وعلى كل حال فكلام مرجوليوت وصداه لا يهمنا في سياق حديثنا هنا إلا بقدر دلالته على التزهيد في قسط وافر من الشعر العربي يشكل أرقى ما أنتجه العرب.

ينبغي أن نلتفت جيدا إلى أن الشعر الجاهلي ظل النموذج في الشعر العربي مدة طويلة، وسواء أتعلق الأمر باتباع متبعين له، أم اختلاف مختلفين عنه فإن الأمر سيان، وتبدو هنا تجربة أبي تمام بصورتيه واضحة بقوة: صورة أبي تمام الشاعر المحدَث المجدد في شعره وأحد أقطاب مدرسة البديع، وصورة أبي تمام المتبع في حماسته، إن ذلك يدفعنا إلى فهم طبيعة العلاقة بين الشاعر وذلك الشعر: إنها العلاقة بين الرصيد المعرفي والثقافي أو العدة الشعرية، وبين الرغبة في التفرد والتميز، وهذه العلاقة بصورتيها -على تفاوت- تحضر هي نفسها بقوة لدى مختلف شعرائنا القدامى؛ لأنهم ببساطة كانوا ينطلقون من قاعدة عامة في قول الشعر هي الحفظ أولا، والممارسة ثانيا.

وعندما يحرمنا مرجوليوت ومن شابهه من رصيدنا من قرون من الشعر العربي، هي من أروع ما نملكه من شعر، فماذا يبقى لنا؟

رابعا: في ضرورة الشعر العربي:

إن سؤال الحاجة إلى الشعر العربي هو الذي جعلنا نخلص إلى عنونة هذه الفقرة بـ«ضرورة الشعر العربي»، وتفصيل ذلك كما يلي:

1- الشعر العربي جزء أصيل من الهوية:

لو سلمنا لمرجوليوت بأن الشعر العربي بدأ مع العصر الأموي -مثلا- لكلَّفنا ذلك خسارة تقدر فاتورتها بقرون من الرصيد الثقافي ومن الأصالة، ولفَتَح أبوابنا مباشرة على الآخر: الفرس والروم...، فما الذي يمنع حينها من القول: إن نشأة

[1] – م.س، ص: 79.

[2] – م.س، ص: 55-139.

الشعر العربي حصيلة تأثر بالشعر الفارسي وغيره، وقد امتدت مساحة الدولة الإسلامية من أقاصي آسيا شرقا إلى حدود فرنسا غربا؟ هذه واحدة.

والثانية هي شطب الرصيد المعرفي والثقافي العربي بجرة قلم؛ لأن العصر الأموي فيه شبهة الثقافات المتعددة، فتصير ثقافتنا حصيلة امتزاج عدة ثقافات، ومن ثم فهي تفتقر إلى امتداد ذاتي، وأصل تنفرد به.

2- الشعر العربي شاهد على الإعجاز:

وأمر آخر ههنا هو أن شطب كل ذلك القدر من الرصيد الشعري العربي يعني شيئا واحدا: هو أن التحدي القرآني للعرب لا معنى له؟ وأن العرب لم يكن لهم شعر أصلا حتى يكون لهم اقتدار بياني، والأخطر من ذلك أن هذا القول يقود إلى أن نَفْقِد شاهد الإثبات الوحيد على إعجاز القرآن للعرب، وتحديه إياهم، وأن خضوعَ العرب خضوعُ هزيمة لا خضوع اقتناع بأنه من عند الله تعالى، وأنه وحي معجز.

ولعبد القاهر الجرجاني عبارة طريفة في ذلك هي أنه «إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر... وكان محالاً أن يَعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب... ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض، كان الصاد عن ذلك صاداً عن أن تُعرف حجة الله تعالى، وكان مثلُه مثلَ من يتصدى للناس، فيمنعَهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالى، ويقوموا به، ويتلوه ويقرؤوه... فمن حال بيننا وبين ماله كان حفظُنا إياه، واجتهادُنا في أن نؤديه ونرعاه، كان كمن رام أن ينسيناه جملة، ويُذهبه من قلوبنا دفعة. فسواء من منعك الشيء الذي يُنتزع منه الشاهد والدليل، ومن منعك السبيل إلى انتزاع تلك الدلالة، والاطلاع على تلك الشهادة. ولا فرق بين من أعدمك

الدواء الذي تستشفي به من دائك، وتَستَبقي به حُشاشة نفسك، وبين مَن أعْدمَك العِلم بأن فيه شفاء، وأن لك فيه استبقاء»[1].

فالمسألة إذن مسألة دليل على إعجاز القرآن من خلال ما بين أيدينا من شعر شكل ديوان العرب، واحتفظ لنا بصورة العقلية البيانية العربية، وشكل علما بكون القرآن كلام الله، وأمكننا بذلك أن نتعرف به على الدواء.

3- الشعر العربي تربية ذوقية:

بإمكاننا أن ننطلق هنا من هذين السؤالين: هل يمكننا فعلا أن نبقى على صلة بتراثنا بمختلف أشكاله وأن نفهمه حق الفهم دون اقتدار لغوي؟ وهل يمكن أن نحقق هذا الاقتدار بعيدا عن الشعر العربي؟

إذا كانت الخطوة الأولى لقطع الصلة بتراثنا الشعري هي تعميق الفجوة بيننا وبينه، بما في ذلك الفجوة اللغوية بمختلف مظاهرها، فإن أول مدخل للاتصال بذلك التراث هو تذوقه، ومعلوم أن تذوقه لا يتم إلا من خلال عدة شعرية بين محفوظ ومقروء، وعلى قدر هذين تكون متعة الإقبال على هذا الشعر، وحبه، والشعور بلذة قراءته فعلا.

وليس الذوق شيئا آخر غير الألفة التي تحدث لدى المرء من خلال ممارسة القراءة والحفظ والرواية، ثم إخضاع هذه الألفة للأسئلة الدائمة حتى لا تتحول إلى تبلد في الإحساس.

4- الشعر العربي أداة إجرائية:

الشعر ليس معرفة فقط؛ بل هو أيضا أداة بحث ودراسة، وحسبنا لتوضيح ذلك أن ننطلق من هذين السؤالين النموذجيين:

كيف يمكن لباحث في الدراسات الإسلامية -مثلا- أن يَفهم الشافعي (ت204هـ)، ويُفهم عنه، ويناقشه، وقد عدّه أحمد بن حنبل وابن هشام صاحب السيرة حجة في اللغة[2]، وروى عنه مصعب الزبيري شعر هذيل، وصححه عليه

[1] – دلائل الإعجاز، ص: 8-9.

[2] – مناقب الشافعي، 42/2.

الأصمعي، وأنشده لثلاثين شاعرا أسامهم عمرو، وروى البيهقي أنه كان يروي لثلاثمائة شاعر مجنون[1].

وكيف يمكن لباحث في جهود ابن جرير الطبري (ت310هـ) أن يتذوق علم الرجل ويفهمه وهو ينطلق في تفسيره وحده من عُدة شعرية الحاضر منها فقط في هذا التفسير 2260 بيتا شعريا[2]، وإذا علمنا أن هذه العدة هي المعلَن عنه فقط، وأن العدة الخفية أكثر من ذلك بكثير، وأن الطبري -وهو يفسر القرآن- يناقش وجهات نظر المفسرين، ويرد بعضها ويقبل البعض الآخر، ويناقش عددا من القضايا اللغوية والنحوية... مستعينا بتلك العدة، وأن التفسير الذي وصلنا إنما هو مختصر تضمن عُشُر تفسيره الأصلي الذي كان يُقدر بثلاثين ألف ورقة، وأنه اختصره؛ لأنه أراد إقراءه، وواجهه طلبة وقته بأنه «تفنى الأعمار قبل تمامه»[3].

إذا علِمنا ذلك كلَّه أمكننا أن نتساءل: من هذا الباحث الذي سيجرؤ على مناقشة مثل هؤلاء، وبضاعته مزجاة، ولا ذوق له؛ لأنه لا رصيد شعري له، فكيف سيتواصل معه، فضلا عن أن يناقشه، وأن يتجرأ على ردّ بعض أقواله المسندة بالدليل النصي حديثا وأثرا وشعرا؟!

وما قدّمته لا يتجاوز نموذجين اثنين من تخصص واحد فُصل في تعليمنا الجامعي عن الشعر العربي، فما بالك بالنماذج الأخرى في هذا التخصص على كثرتها، وما بالك بتخصصات أخرى؟!

5- الشعر العربي احتياط معرفي:

وأمر آخر هو أن الشعر العربي خزان يتضمن احتياطا معرفيا أيضا، ومن ثم فما زال يَعِد بالمزيد من العطاء؛ بل إن عددا من معادنه لم تكتشف بعد، وهو في ذلك نوعان: نوع مجموع متداول وهذا في حاجة مستمرة إلى تجديد المنهج

---

[1] – مناقب الشافعي، 2/44-47.

[2] – جهود الطبري في دراسة الشواهد الشعرية، ص: 48.

[3] – تاريخ بغداد، 2/163.

والوسائل لتعميق فهمه والاستفادة منه، ونوع مشتت أو مخطوط أو في حكم المفقود...

وحسبنا هنا أن نضرب مثلا واحدا بأهمية هذا الاحتياط المعرفي فيما ينتظرنا من مشاريع لخدمة لغتنا وتاريخنا وأمتنا، ذلك هو (معجم الدوحة التاريخي للغة العربية)، وهو مشروع هدفه إعادة النظر في العمل المعجمي مادة ومنهجا، وتقديمه تقديما تاريخيا وصفيا يرصد المادة منذ بداياتها، والتطورات الدلالية والشكلية التي طرأت عليها إلى أن استقرت أو كادت، ويشكل الشعر مصدرا في هذا العمل، ولنتساءل الآن:

ماذا لو أن علماءنا المعاصرين -الذين بذلوا جهودا مضنية في إخراج تراثنا الشعري والأدبي والنقدي- تأثروا بحركة التزهيد في الشعر العربي، فلم يُخرجوا الدواوين المخطوطة إلى الوجود، ولم يجمعوا الأشعار المفرقة في المصادر، ولم يبذلوا جهدا في التنقيب والبحث... وقُل مثل ذلك عن المصادر الأدبية المتضمنة لذلك التراث كالمختارات الشعرية والمصادر الأدبية والنقدية... أكان يمكن لهذا المشروع أن يكون أصلا؟

ثم إذا علمنا أن الشكوى الآن قائمة في هذا المشروع مِن كون ما حُقق أو جُمع ما زال في حاجة إلى جهود أخرى، والحاجة ماسة أكثر إلى إخراج أعمال أخرى نعلم بوجودها ولا نصِل إليها، فما بالك بالتي غلِّقت دونها أبواب الخزائن؟

لا ريب أن الخسارة كانت ستكون محققة،

ولا ريب أن عدم الالتفات إلى دعوى حركة التزهيد في الشعر العربي هو في حد ذاته خدمةٌ لهذه الأمة ولتراثها.

المصادر والمراجع

- الأدب: أبو بكر بن أبي شيبة. حققه وخرج أحاديثه د. محمد رضا القهوجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: 1، 1420هـ/1999م.

- البيان والتبين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، د. ط. ت.
- تاريخ بغداد: أبو بكر الخطيب البغدادي. دار الفكر/بيروت، مكتبة الخانجي/القاهرة، د.ط.ت.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1967م.
– جهود الطبري في دراسة الشواهد الشعرية: د. محمد المالكي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز فاس، ط: 1، 1994م.
– دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي. ترجمة د.عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 1، 1979م.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني. قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني/القاهرة ودار المدني/جدة. ط:3، 1413هـ/1992م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبو الحسن علي بن بسام الشنتمري. تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط:2، 1399هـ/1979م.
- الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمود شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط:2، 1418هـ/1998م.
- الصاحبي: أبو الحسن أحمد بن فارس. تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، د.ط.ت، الإيداع سنة 1977م.
- صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف. الرياض. ط:1، 1420هـ/2000م.
- الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، بيروت، 1986/1406.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة. ط:1.

- العقد الفريد: ابن عبد ربه. شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.ط 1385هـ/1965م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط: 1، 1408هـ/1988م.
- عيون الأخبار: ابن قتيبة. دار الكتاب العربي، بيروت، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية لسنة 1925/1343.
– في الشعر الجاهلي: د، طه حسين، دار المعارف، تونس، ط: 1.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير. قدم له وحققه وعلق عليه د. أحمد الحوفي ود.ب دوي طبانة دار نهضة مصر، القاهرة، ط:2.
- مقاييس اللغة: ابن فارس. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر. بيروت. د.ط.ت.
- مناقب الشافعي: البيهقي. تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ط.ت.
– نثر النظم وحل العقد: أبو منصور الثعالبي. عني بنشره أحمد عبدالفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: 1، 1410هـ/1990م.
- نصرة الثائر على المثل السائر: صلاح الدين بن أيبك الصفدي. تحقيق د. محمد علي سلطاني. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- نصوص الشعر والشعراء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف: الحسين زروق. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: 1، 2013م.
- نضرة الإغريض في نصرة القريض: المضفر بن الفضل العلوي. تحقيق دة. نهى عارف الحسن. مطبعة طربين، دمشق، 1976/1396.

من بحوث ندوة

تحقيق التراث المخطوط:

قضايا وتجارب

أجرومية تحقيق الوثيقة

د. العياشي السنوني
كلية الآداب ظهر المهراز- فاس

ككل فعل يدل حقق ووثق على حدث أو فعْل فاعل يحصل في زمان ومكان.

ويدل حقق مع مشتقاته على الصدق واليقين. يقال: حقق الرجل إذا قال هذا الشيء هو الحق.

والتحقيق اصطلاحاً: "إثبات المسألة بدليلها"[1]. وتحقيق النص عند القدامى محاولة إخراجه على الصيغة التي أرادها مؤلفه[2].

ويدل وثق مع مشتقاته على العقد والإحكام والإتقان والائتمان.

والتوثيق اصطلاحاً: "توفير المعلومات المتعلقة بوثيقة، وانتقاؤها وتصنيفها وتخزينها وبثها واستغلالها"، وهو "بمعناه الواسع يعني تنظيم وتحليل البيانات والحقائق، والوصول بها إلى نوع من المعلومات ينتظر أن تحقق للباحث مفهوماً وحقائق جديدة، مقننة ومعايير محددة"[3].

ويقصد بالوثيقة "السجل المكتوب الذي يمكن أن يصير موضوعا للتوثيق، سواء كان رسمياً أو غير رسمي، قانونياً كان أو غير قانوني، وهي باعتبار الموضوع: "كل مدون يعطينا صورة أو جزءاً من صورة المجتمع البشري، وكل ما يحيط به كونياً في زمان معين، ومكان معين"[4].

---

[1] - التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني، 52.

[2] - تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1418هـ = 1998م،

[3] - مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، قضايا ونماذج، تأليف الدكتور الشاهد البوشيخي، ط1، القلم، 1413- 1993، ص39، هامش 2' نقلا عن التوثيق الإداري 17

[4] - المرجع نفسه، هامش رقم 1، بتصرف.

وكل من التحقيق والتوثيق يروم الدقة في تمثُّل الوثيقة وعرضها في ذاتها، مادياً ومعرفياً، بالصيغة التي تجعلها متميزةً عن كل خارج عنها، أي بالصيغة التي تجعلها تتميز عن بهرجة العرض، وعن النصوص الموازية.

دعامة التحقيق

من أجل امتلاك دعامة أساسية للتحقيق، ينبغي النظر إلى الوثيقة باعتبارها "كياناً مستقلاً بذاته، مالكاً لسياقاته الخاصة، وقادراً، استناداً إلى عناصره الذاتية، على تحصين ذاته، وإنتاج معانيه"[1]. كما يتحتم الانتباه إلى وجود سنن تخص كل وثيقة؛ فالعقود، والمراسيم، والعلوم، والفنون، والآداب (سرداً وشعراً ومسرحاً وسينما وصورة وقصة...) أنساق يحتاج كل واحد منها إلى قوانين وسنن خاصة أو أجرومية تُعْتَمد في تحقيق الوثيقة وفي إنتاج الدلالة، وإعادة إنتاجها إن كانت الوثيقة فنية. ومن ثم، لا يمكن أن نتصور تحقيق وثيقة قانونية تتسم بالتعيين بنفس المنهجية التي نحقق بها نصاً أدبياً يحتمل تجاوز حدود التعيين إلى التضمين وأبعاده. وحتى في مجال الفنون لا يمكن تحقيق نص أو إنتاج دلالة بنفس الطريقة التي تُنتج بها دلالةُ فن آخر، لأن لكل واحد من الفنون أدواته الإجرائية الخاصة.

غير أن القول بالسنن الخاصة بنسق لا ينفي، أحياناً، وجود قواسم مشتركة بين الأنساق؛ من قبيل الاشتراك الموجود بين السرد والشعر سواء على المستويات النصية؛ (من ترقيم وصوت، ولغة، وصرف، ونحو، وبلاغة، ودلالة، وتداولية)، أو على المستويات التناصية ؛ عبر نصية وخارج نصية.

عبر نصية: كل نص يمكن أن ينبني على أساس التماهي في نصوص أخرى ؛أو على أساس حضور نص داخل نص آخر في شكل استشهادات، أو معارضات أو

[1] - السيميائيات وموضوعها، د. سعيد بنكراد، مجلة علامات ع16، ص160. التأويل مفهومه وأدواته الإجرائية، د. العياشي السنوني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العددان 30 - 31، 2006، ص192.

احتـذاءات، أو تلميحـات أو شـواهد أو تضـمينات أو سـرقة[1] أو إحـالات على أنسـاق أخرى سـواء كانت في صيغة علوم أو فنون أو في صيغ أخرى عديدة تستعمل معبراً لدلالة ضمنية جديدة، أو لدلالات خارج نصية(paratéxte): مثل:

1 - المؤلف وظروفه النفسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وبيئته، وآثاره المطبوعة والمخطوطة، وآثار غيره التي لها علاقة بالكتاب موضوع التوثيق والتحقيق مطبوعة كانت أو مخطوطة. سواء كانت لمزامنين للمؤلف أو سابقين أو لاحقين.

2 - والمؤَلَّف وفاتحته[2]، وصدر إنشاد القصائد، والعبارة التوجيهية، والديباجة، والعنوان الرئيسي، والعنوان الفرعي، والعنوان الداخلي والتذييلات، والتنبيهات، والإجازات، والتمليكات.

3 - والحواشي الجانبية التي كانت قديماً تضم أموراً منها: "رسم الحرف المشكل بإهماله أو ضبطه ليستبين أمره، ويرتفع الإشكال عنه"[3]، والتصحيح: وهو كتابة "صح" على الحرف علامة لصحة معناه وروايته[4]. والتصحيح يكون من لدن كاتب النص نفسه، أو من لدن الناسخ أو من لدن فرد آخر[5]، والساقط من

---

[1]. انظر باب السرقات وما شاكلها، في العمدة لابن رشيق، ج2، ص280.

[2] - من مضامين الفاتحة ما ذكره المقريزي في كتابه المواعظ حين قال: "اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب، وهي: الغرض، والعنوان، والمنفعة، والمرتبة، وصحة الكتاب، ومن أي صناعة هو، وكم فيه من أجزاء، وأي أنحاء التعاليم المستعملة فيه النص الموازي، أحمد المنادي، مجلة علامات، النادي الثقافي بجدة المجلد الجزء 61، جمادى الأولى 1، ماي 2007، ص 140.

[3] - فتح المغيث، ج2، ص158.

[4] - الإلماع، ص، 166، وتوضيح الأفكار، ج2، ص367.

[5] - فتح المغيث، ص284.

الأصول، المخرَّجُ والمكتوب في الحاشية، ويسمى اللَّحَق بفتح اللام والحاء المهملة[1]، قال القاضي عياض: "أحسن وجوهه ما استمر عليه العمل عندنا من كتابة خط بموضع النقص صاعداً إلى تحت السطر الذي فوقه، ثم ينعطف إلى جهة التخريج في الحاشية انعطافاً يشير إليه[2]، ثم يبدأ في الحاشية باللَّحَق مقابلا للخط المنعطف بين السطرين، ويكون كتابها صاعداً إلى أعلى الورقة حتى ينتهي اللَّحق في سطر هناك أو سطرين أو أكثر على مقداره، ويكتب آخره "صح"، وبعضهم يكتب آخره "بعد التصحيح رجع"، وبعضهم يكتب "انتهى اللحق"[3].

4- والحواشي السفلية، والملاحق، والنصوص الفرعية، والنصوص الواصفة، والتقاييد التاريخية، التي ترفق بالنص المخطوط، في شكل نصوص قصيرة تخص أموراً مثل: تاريخ بداية النسخ، وتاريخ الفراغ من النسخ، وتواريخ أصول المخطوط، واسم الناسخ، واسم المستكتب أو الآمر بالنسخ[4]، والمكان الذي تم فيه النسخ[5].

5 - والشروط المادية لإنتاج المؤلَّف مثل: المواد التي تستعمل فضاءً للكاتبة ومنها:

- أكتاف الإبل، واللخاف؛وهي الحجارة البيض الرقاق، وعسب النخل[6].
- والرِّق؛ وهو جلد حيوان، تمت معالجته بشكل يجعله صالحا للكتابة على

---

[1] - اللحق في اصطلاح أهل الحديثِ والكتابة، ما سقط مِن أَصْلِ الكتابِ فأُلْحِقَ بالحاشيةِ أو بينَ السطورِ (شرح التبصرة والتذكرة، ج 1، ص 156). تدريب الراوي، ج 2، ص 79 - 80. فتح المغيث، ج 2، ص 193. شرح التبصرة والتذكرة، ج 1، ص 156).

[2] - وقالَ ابنُ الصلاحِ: إنَّ المخْتَارَ هذهِ الكيفيةُ (شرح التبصرة والتذكرة، ج 1، ص 158).

[3] - الإلماع، ج 1، ص 162. وتوضيح الأفكار ج2، ص367).

[4] - مدخل إلى علم المخطوط، ص271 وما بعدها.

[5] - المرجع نفسه، ص275.

[6] - الفهرست، ص31.

وجهيه [1]. وقد استعمله الصحابة، رضي الله عنهم، في كتابة القرآن الكريم[2]. ويتحدث ابن خلدون عن استعماله في صدر الملة "لانتساخ العلوم، وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك"[3].

- والطروس: وهي الصحائف الرقية التي أعيد استعمالها بعد معالجتها من لدن الصناع، وصقلها بطريقة تمحى بها النصوص الأصلية المنسوخة على صفحات الكتاب[4]. "ويعين ابن النديم فترة من الزمن في أيام الدولة العباسية كان الناس فيها ببغداد لا يكتبون إلا في الطروس"[5].

- والورق[6]، ومنه الورق الخراساني، وقد ذكر ابن النديم أنه كان يعمل من الكَتان، "وحدث صنعه في أيام بني أمية، وقيل في الدولة العباسية، وقيل أن صناعاً من الصين عملوه على مثال الورق الصيني الذي كان يصنع من الحشيش. ويذكر من أنواعه: السليماني، والطلحي، والنوحي، والفرعوني، والجعفري، والطاهري"[7]، وقد شاع استعمال الكاغد بعد أن أشار الفضل بن يحيى البرمكي بصناعته، وكان ذلك حسب ابن خلدون بعد"أن طما بحر التأليف والتدوين، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه"[8].

---

[1] - المرجع نفسه، ص24.

[2] - صبح الأعشي، ج2، ص486.

[3]. تحقيق النصوص ونشرها، ص16.

[4]. مدخل إلى علم المخطوط، ص57.

[5]. تحقيق النصوص ونشرها، ص17.

[6] - صنع الورق لأول مرة في الصين، وأدخله العرب إلى أوروبا، وشرع السوريون والمصريون في صناعته حوالي 750م كانت أوروبا تستورده من الشرق، ولم تظهر مصانع الورق في الجزيرة الإيطالية إلا في بداية القرن الثالث عشر الميلادي (مدخل إلى علم المخطوط، ص60). وفي القرن السادس عشر سارت الورقة تحمل دمغة تصير علامة تميزها مكانا وتاريخاً (مدخل إلى علم المخطوط، ص73).

[7] - الفهرست، ص32. وتحقيق النصوص ونشرها، ص 16.

[8]. تحقيق النصوص ونشرها، ص 16 و17.

- والملزمة: أو مجموع الصحائف المزدوجة المدمجة الواحدة في الأخرى التي يخيطها المسفر دفعة واحدة[1].

6 - وأنماط الترقيم التي تضبط ترتيب الملزمة والصفحات ومن أكثر الأنماط انتشاراً في هذا المضمار:

- التعقيبة ويقصد بها "مجموعة الكلمات أو الحروف التي كان يكتبها الناسخ، في أسفل جهة الظهر من آخر صحيفة من الملزمة. وتُشكِّل هذه الكلمات، أو هاته الحروف أوائل الكلمات (أو أوائل الحروف) من الملزمة الموالية"، والناسخ إنما يقصد بهذه التقنية ربط ملزمة بأخرى[2].

- والخزم في صحائف الكتب الرّقِية أو الورقية؛ وهي ثقوب صغيرة مصنوعة في نهاية السطور فقط، لأغراض منها تسطير الخطوط الناظمة للوثيقة وتوجيهها، وتحديد المساحة المكتوبة[3].

7 - وأنواع خطوط الكتابة، والأشهر منها: الخط الكوفي، والخط الإفريقي القديم، والخط الأندلسي، والخط المغربي الحديث، ومن مميزات الخط الأندلسي والمغربي، أنهما يعجمان الفاء بنقطة من الأسفل والقاف بنقطتين من فوق. والترتيب الهجائي للحروف الأندلسية والمغربية يكون كالتالي:أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي[4].

ومن مظاهر الكتابات القديمة[5]:

- وضع بعض العلامات لإهمال الحروف "فبعضهم يدلي على السين المهملة بنقط ثلاث من أسفلها، إما صفا واحداً وإما صفين. وبعضهم يهمل نقطة السين ويعجم

---

[1] - الملزمة أو مجموع الصحائف المزدوجة المدمجة الواحدة في الأخرى التي يخيطها المسفر دفعة واحدة (مدخل إلى علم المخطوط، ص82 و83).

[2] - مدخل إلى علم المخطوط، ص116. تحقيق النصوص ونشرها، ص 41.

[3] - مدخل إلى علم المخطوط، ص165 و174.

[4] - تحقيق النصوص ونشرها، ص 28.

[5] - المرجع نفسه بتصرف، من ص53 إلى56.

الشين بنقطة واحدة فوقها"، "وبعضهم يكتب سينا صغيرة (س-) تحت السين، ويكتبون حاء(ح-) تحت الحاء المهملة. ومن الكتاب من يضع فوق المهمل أو تحته همزة صغيرة (ء)، ومنهم من يضع خطاً أفقياً فوقه، ومنهم من يضع رسماً أفقياً كالهلال، ومنهم من يضع علامة شبيهة بالرقم (V)".

- قد ينقط الحرف من أعلى ومن أسفل معاً، في بعض الكلمات التي تقرأ بالإهمال والإعجام معاً وذلك مثل "التسميت" و"التشميت" أي تشميت العاطس، ويضعون فوق السين أحيانا نقطاً ثلاثاً وتحتها كذلك، إشارة إلى جواز القراءتين.

- إهمال القطعة في بعض الكتابات، فتلتبس كلمة مثل "ماء" بكلمة "ما"، "وسماء" بالفعل "سما".

- كتابة الهمزة المكسورة أحياناً تحت الحرف وأحيانا من فوقه.

- كتابة المَدَّة فيما لم نألفه نحو "مآ" التي تكتب الآن " ماء ".

- كتابة الشدة تارة فوق الحرف وتارة تحته إذا كانت مقرونة بالكسرة. وإذا كانت مع الفتحة كتبت الفتحة أحياناً فوق الشدة، وأحيانا تكتب الفتحة تحت الشدة فيتوهم القارئ أنها كسرة مع الشدة، مع أن وضع الكسرة تحت الشدة وفوق الحرف أمر لا يكاد يوجد في المخطوطات العتيقة.

- يضع المغاربة الضمة تحت الشدة، "وفي كثير من الكتابات القديمة توضع الشدة على الحرف الأول من الكلمة اللاحقة إذا كان مدغماً في آخر من نهاية الكلمة السابقة مثل "بل رَّان"".

- تخفيف الحرف، يرمز إليه أحياناً بالحرف "خ" أو بعلامة "خف" إشارة إلى الخفة.

- يرمز إلى السقط بنصف مربع يفتح يمينا أو يساراً.

- وفي الدلالة على الضرب اتفقوا على أن أجود ضروب الضرب، ألا يطمس الكاتب الحرف المضروب عليه،[1] "بل يخط من فوقه خطاً جيداً بيناً يدل على إبطالـــــه،

[1] - وانظر: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي، ص 606.

ويقرأ من تحته ما خط عليه"[1]. وهذ الضرب هو الموسوم بالشق[2]، ومن الضابطين من استعمل ضروباً أخرى في الضرب ذكر القاضي عياض منها: وضع خط على أول المبطل وآخره ليميزه من غيره على أن لا يُخلط هذا الخط بالكلمات وإنما يثبت معطوفاً فوقها. وكتابة "لا" في أوَّلِ الزائدِ، و"إلى" في آخرِهِ. وتحويق أوَّلِ الكلامِ الزائدِ بنِصْفِ دارةٍ، وآخرِهِ بنِصْفِ دارة أخرى، وقد يكون ذلك في أكثر من سطر. وأما ما هو خطأ محض فالتحويق التام عليه أو حكه أولى. وكتابة دائرة صغيرة في أوَّلِ الزيادةِ، وأخرى في آخرِها، وبعض أشياخ القاضي عياض المحسنينَ لكتبِهم، سماها صِفْرَاً، مثل أهل الحسابِ، ومعناها خُلُوُّ موضعِها من عددٍ، كذلكَ هنا تُشْعِرُ بخلوِ ما بينهما[3].

- الاختصارات[4]:

تواضع علماء الحديث على علامات تدل على اختصار بعض الكلمات، وتبعهم في ذلك عموم المحققين. وأكثر الاختصارات تداولاً ما يلي:

ثنا = حدثنا[5].

ثني = حدثني.

نا = أخبرنا أو أنبأنا [6].

أنا =أنبأنا، أو أخبرنا.

أبنا = أخبرنا.

دثنا = حدثنا.

أرنا = أخبرنا في استعمال بعض المغاربة.

---

[1] - فتح المغيث، 208، وشرح التبصرة والتذكرة، ج 1، ص160.

[2] - الإلماع، ج 1، ص 170.

[3] - المصدر نفسه، ج 1، ص 171.

[4] - انظر: تدريب الراوي، ج2 ص87، وما بعدها.

[5] - المصدر نفسه، ج1، ص148.

[6] - المصدر نفسه، ج2، ص11.

أخ نا = أخبرنا في استعمال بعض المغاربة.

قثنا = قال حدثنا.

صلعم = صلى الله عليه وسلم.

ص ع = صلى الله عليه وسلم.

ع س = عليه السلام.

ش = الشرح.

ال- ش- =الشارح.

الخ = الى آخره.

اه- = انتهى. [1]

8 - ونوع مادة الكتابة[2]، وطرق إنجازها سماعاً فردياً أو جماعياً من مُمْلٍ، أو نسخاً من مصدر[3].

9 - وزخرفة الغلاف ورسومه التي تكلل مسار صناعة المخطوط، وتصير موضوعاً فنياً، وتشي بقيمة المخطوط المادية، فضلاً عما تحمله من دلالات ذوقية وفنية.

10 - والتسفير ونوعية المواد التي تستعمل في التسفير[4]، وتركيبتها الفزيوكيميائة، التي يمكن أن تساعد على تحقيق المخطوط وإدراك مدى صحة نسبته لزمانه ومكانه وصاحبه، مما يعزز صدقية العلامات الدالة على ذلك في المتن.

إن علم المخطوط (La codicologie) بمعطياته خارج نصية، وتحليل الوثيقة فزيوكميائاً، والمعالجة الرقمية، وكل الأمور التي لها بالوثيقة علاقة ما ظاهرة أو خفية، مما يسهم في توثيق الوثيقة وتحقيقها، ويمهد للمنتظر: التوثيق الرقمي.

---

[1] - تحقيق النصوص ونشرها، ص 57 - 58.

[2] - مدخل إلى علم المخطوط،، ص257.

[3] - المصدر نفسه، ص263.

[4] - المصدر نفسه، ص317.

مصدرا التوثيق والتحقيق لدى القدامى

اعتمد الرواة للحديث واللغة والشعر والمحققون على مصدرين اثنين:

الأول: المصدر الشفوي

مكثت الرواية الشفوية، ولا سيما في صدر الإسلام الوسيلة الأولى لرواية كلام الله وكلام الرسول، صلى الله عليه وسلم، واللغة والشعر. وكانت طبيعة الكتابة العربية تحتم ذلك؛ لأنها لم تعرف الشكل والإعجام إلا زمن الوليد بن عبد الملك[1]. وكان الذي يعتمد على الصحف في الرواية عرضة للتصحيف والخلط والتحريف. وفي كتاب التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن الأصفهاني (ت 360هـ- /970م)، وكتابي شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، وتصحيفات المحدثين، لأبي أحمد العسكري (ت 382هـ- /992م)، أمثلة كثيرة للتصحيف والتحريف منها ما سنذكره لاحقاً.

ولأن الذي يعتمد في الرواية على الكتابة كان عرضة للتصحيف فضل العلماء تلقي الرواية سماعاً وشجعوا على ذلك، وصغروا من قيمة الرواية القائمة على النقل من الصحف، ومنهم ابن سلام الذي ألح على جعل السماع في المقام الأول حين قال: "وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يُرْوَى عنْ صُحُفيّ"[2].

---

[1] - "عندما قام يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم بوضع الإعجام - أي: النقط - فكان الاختلاف بين الشكل الذي وضعه الدؤلي، والشكل الذي وضعه يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، فقام الخليل بن أحمد الفراهيدي في العصر العباسي بالإصلاح الثالث؛ حيث قام بإبدال النقط التي وضعها أبو الأسود الدؤلي للدلالة على الحركات الإعرابية بجرات علوية وسفلية للدلالة على الفتح والكسر، وبرأس واو للدلالة على الضمّ، واصطلح على أن يكون السكون الخفيف (الذي لا إدغام فيه) رأس خاء أو دائرة صغيرة، وللهمز رأس عين (ء)، وغيرها من الإصلاحات (الكتابة العربية ونشأتها، لجيصة شريم. رابط الموضوع:

http://www. alukah. net/culture/0/63331/#ixzz4JtnuMtye "

[2] - طبقات فحول الشعراء، ج1، ص: 4.

وفي التأكيد على أهمية السماع قال ابن قتيبة(توفي 276هـ): " كل علم محتاج إلى السماع، وأحوجه إلى ذلك علم الدين، ثم الشعر، لما فيه من الألفاظ الغريبة واللغات المختلفة، والكلام الوحشي، وأسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه، فإنك لا تفصل في شعر الهذليين إذا أنت لم تسمعه بين "شابة" و"ساية"، وهما موضعان"[1].

وإذا كان من الشعراء من فضل كتابة الشعر على سماعه وحفظه فإن منهم من لم يخف تحرجه أمام العرف الثقافي الذي كان يفضل الرواية الشفوية؛ فعيسى بن عمر (توفي سنة 182 هـ) حين سأل ذا الرمة قائلا: أتكتب؟ رد عليه، ويده على فيه، أي اكتم على فإنه عندنا عيب[2].

ولذلك أمسى السماع أحد طرق الرواة في التحقيق، ولا سيما حين تكون الكتابة خالية من التنقيط والإعجام، وهم في ذلك سائرون على نهج علماء الحديث، وفي مقدمتهم الصحابة، رضي الله عنهم. وروي عن مالك وعن غيره أن القراءة على الشيخ أعلى مراتب الحديث[3].

الثاني: المصدر الكتابي، يدل على ذلك الأخبار الصريحة عن أخذ الرواة المحققين من الكتب، ووجود ظاهرة التصحيف.

الأخذ من الكتب:

فبخصوص الأخذ من الكتب، حملت إلينا الأخبار: أن الخليفة عمر بن عبد العزيز ظل يستخير الله أربعين يوما في تدوين الحديث، وخار له الله، فأذن لأبي بكر

---

[1] - " شابة" بالشين المعجمة، والباء الموحدة الخفيفة. قال ياقوت: "جبل بنجد، وقيل بالحجاز في ديار غطفان بين السليلة والربذة". "والساية " بالسين المهملة، وبعد الألف ياء مثناة تحتية مفتوحة، قال ياقوت: اسم واد من حدود الحجاز" انظر هامش رقم 2، الشعر والشعراء، ج1، ص: 88.

[2] - المصدر نفسه، ج1، ص: 532.

[3] - الإلماع، ص 69. تدريب الراوي، ج 2، ص 12.

بن محمد بن عمر بن حزم في تدوين الحديث، فدَوَّن ما كان يحفظه في كتاب بعثه إلى الأمصار. وكان أبو بكر هذا قاضياً ووالياً على المدينة، وتوفي سنة 120هـ[1].

وأن عَبيد بن شَرِيَّة ألف لمعاوية أخباراً عن اليمن وأشعارها وأنسابها[2].

وفي البيان والتبيين للجاحظ أن ابن السكيت كان يأخذ من أبي عمرو الشيباني (ت 206 أو 213هـ) ويكتب من كتبه[3]، وأن أبا عمرو بن العلاء كان يدون ما يروي من الشعر، وأن الكتب كانت تملأ بيتا له إلى قريب من السقف، ثم إنه تقرأ[4]، فأحرقها كلها، فلما رجع بعد إلى علمه الأول، لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية[5].

ويذكر عن ظروف تأليف أبي تمام (ت 231 هـ) لحماسته، أن الثلج عاقه عن السفر وكان في العراق، فاستضافه أبو الوفاء بن سلمة " وأحضره خزانة كتبه فطالعها، واشتغل بها، وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات"[6].

ويذكر أيضا أن العباس بن بكار قال للمفضل الضبي يوما: "ما أحسن اختيارك للأشعار! فلو زدتنا من اختيارك؟ فقال المفضل: والله ما هذا الاختيار لي ولكن إبراهيم بن عبد الله استتر عندي (في نحو سنة 145 هـ) فكنت أطوف وأعوذ إليه بالأخبار، فيأنس ويحدثني، ثم عرض لي خروج إلى ضيعتي أياماً، فقال لي: اجعل

---

[1] - تحقيق النصوص ونشرها، ص13.

[2] - ذكر عبد السلام محمد هارون (تحقيق النصوص ونشرها، ص12) أن هذا الكتاب طبع في حيدر أباد، سنة 1347، من رواية يظهر أنها لابن هشام.

[3] - الفهرست لابن النديم 102، مصادر الشعر الجاهلي، ص: 173.

[4] - تقرأ: صار قارئا ناسكا.

[5] - البيان والتبيين للجاحظ، ج1، ص: 321، ومصادر الشعر الجاهلي، ص: 156.

[6] - مقدمة التبريزي على شرح الحماسة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة 1938، ص: 5، ومصادر الشعر الجاهلي، ص: 175.

كتبك عندي لأستريح إلى النظر فيها، فتركت عنده قِمَطرين[1] فيهما أشعار وأخبار فلما عدت وجدته قد علّم على هذه الأشعار، وكان أحفظ الناس للشعر، فجمعته وأخرجته فقال الناس: اختيار المفضل"[2].

ظاهرة التصحيف[3]:

التصحيف: "أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة، ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب"[4]، ومن أمثلة ذلك قراءة الأصمعي لبيت الحطيئة:

وَغَرَرْتَنـــــي وَزَعَمْـــــت أَنْـــــ نَـــكَ لابـــنٌ بالصَّـــيف تَـــامِر

يقصد كثيرَ اللَّبَن والتمر، فقرأ: " لا تني بالضيف تَامُرْ" يريد: لا تقصر في إكرام ضيفك. فقال له أبو عمرو بن العلاء: أنت والله في تصحيفك هذا أشعر من الحطيئة"![5]. وأنشده أيضا بيت الحارث بن حلزة:

عَنتاً باطلاً وظُلْماً كما تُعْ نَز عَنْ حَجْرَة الربيضِ الظِّبَاءُ [6]

---

[1] - القمطر ما تصان فيه الكتب.

[2] - انظر المزهر، ج2، نشر دار إحياء التراث، ص: 319.

[3] - حول التصحيف، انظر مصادر الشعر، ص175.

[4] - المزهر، ج2، ص: 353.

[5] - انظر العسكري: التصحيف والتحريف، ص: 55، المزهر، ج 2، ص 355.

[6] - العنت: دخول المشقة على الإنسان ورويت أيضا "عننا"، والعنن الاعتراض.

العنزة: الحَرْبَة، والعنز: الذبح والعثْر والعتيرة الذَّبيحة، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم " لا فَرَعَةَ ولا عَتيرَة". والفَرعة: ذبيحةٌ كانوا يذبحونها في رجب للأصنام، والعتيرة كانوا يذبحونها عن الغَنَمِ إذا كثرت.

الحَجْرة، الناحية. الربيض: الغنم " والبيت من معلقة الحارث بن حلزة ومعناه" إنكم تأخذوننا بذنب غيرنا كما كانت العرب إذا وجب عليها نذر في شاتها ذبحت الظباء مكانها فتظلمها بذلك (شرح ما يقع فيه التصحيف، ص: 94 – 95).

فقال له أبو عمرو الشيباني: صَحَّفْتَ، فالصحيح تُعْتَرُ من العتيرة، فصاح الأصمعي وَجَلَّبَ، وقال: تعنز: تنحر، تضرب بالعَنْزَةِ، فقال له أبو عمرو: دَعْ ذا عنك فوالله لا أنشدتَه بعْدَ وقتك هذا إلا كما قلتُ لك.

وقال أبو الخطاب الأخفش البهذليُّ: أنشدت أبا عمرو بن العلاء:

قالَـــــتْ قُتيلَـــــةُ مَالَـــــهُ قَـــدْ جُلِّلَـــتْ شـــيباً شَـــوَاتُهْ[1]

فقال أبو عمرو: " جُللت شيباً سَرَاتُه"، كبُرتْ عليه الراء فتوهمها واواً. فقلت: وما سراته؟ قال: فأومأ إلى بيت كان قدامه، وقال: سرات هذه البيت أعلاه... قال الأخفش: ما هو إلا شواته، ولكنه لم يسمعها[2].

والظاهر أن السماع والكتابة استعملا جنباً إلى جنب حتى في رواية الحديث والشعر، فقد كان من العلماء من لا يمنع كتابة الحديث، خاصة بعد مرور الوقت حين أصبح الحال داعيا إلى التقييد، وقد سرد القاضي عياض أسماء للقائلين بإجازة استعمال الكتابة في رواية الحديث، وأخرى للقائلين بكراهة ذلك [3].

وعن زمانه، قال: "والحال اليوم داعية للكتابة لانتشار الطرق وطول الأسانيد وقلة الحفظ وكلال الأفهام"[4].

---

[1] - البيت لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان.

[2] -المزهر، ج1، ص: 361، ومصادر الشعر، ص: 176.

[3] - من الذين روي عنهم إجازة ذلك وفعله:عمر وعلي وأنس وجابر وابن عباس وعبد الله بن عمرو والحسن وعطاء وقتادة وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير في أمثالهم ومن بعد هؤلاء ممن لا يعد كثرة، ووقع عليه بعد هذا الاتفاق والإجماع من جميع مشايخ العلم وائمته وناقليه. ومن الذين روى عنهم كراهة ذلك: أبو موسى وابن عمر وأبو سعيد الخدري وجماعة بعدهم لذلك ومخافة الاتكال على الكتاب وترك الحفظ ولئلا يكتب شيء مع القرآن (الإلماع، ج 1، ص 148 - 149).

[4] - الإلماع - (ج 1 / ص 149) في فتح المغيث - (ج 2 / ص 162):
وقال عياض والحال اليوم داعية إلى الكتابة لانتشار الطرق وطول الأسانيد وقلة الحفظ وكلال الأفهام

من وسائل القدامى في التحقيق:

أخضع الرواة الثقاة كأبي عمرو بن العلاء، وأبي عمرو الشيباني والأصمعي، الموروث الشعري إلى ألوان من التحقيق وذلك باعتماد الوسائل التالية:

1 – السماع[1] من الأعراب البدو الذين كانوا يأتون إلى الحواضر من أجل الحج أو التجارة، أو الرحلة إلى أهل الأمصار للوقوف على المنابع الأصيلة، وللسماع عنهم، أو الكتابة[2]، فقد روي عن أبي عمرو بن العلاء قوله: بقيت سنتين اسأل عن فَرْجَة وفُرْجَة حتى سمعت رجلا ينشد ونحن في الطواف.

رُبَّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الأمـ ـرلَهُ فَرْجةٌ كَحلِّ العِقَالِ[3]

وكانوا إذا اختلفوا وهم بالشام، في بيت من الشعر أو خبر أو يوم من أيام العرب يبردون فيه بريداً إلى العراق[4]، واشتهر الأصمعي بخرجاته إلى الصحراء ليأخذ الشعر، والاستعمالات اللغوية السليمة مشافهة للأعراب، المسنين منهم على الخصوص، وقد مكث أبو عمرو الشيباني يشافه الأعراب بالبادية ويكتب عنهم حتى أفنى دستيجتين[5] من حبر في كتابة ما كان يسمعه[6].

2 – السند: وقد اعتمد هؤلاء الرواد السند واحداً من وسائل ضبط الرواية، فراجعوا ما جمعوا بأنفسهم، وما وصلهم من الرواة السابقين، فتتبعوا تسلسل الروايات، وتشددوا في اختيار الأعراب المسموع عنهم، تشدداً جعل بعض العلماء يقول عنهم: "رواة الشعر أعقل من رواة الحديث، لأن رواة الحديث يرددون

---

[1]- انظر شروح الشعر الجاهلي، ج1، ص37 وما بعدها.

[2] - انظر: المزهر، ج1، ص 82 – 87، واللغة والنحو بين القديم والحديث، لعباس حسن، طبعة دار المعارف، سنة 1966، ص 58.

[3] -ا لبيت لأمية بن الصلت، لسان العرب، ج2، ص 341. وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ص2.

[4] - المصدر نفسه، ص 2.

[5] - الدستيجة: آنية، فارس معرب (لسان العرب، ج2، ص 271).

[6] - نزهة الألباء لابن الأنباري، ط. حجرية، ص 121.

مصنوعاً كثيراً، ورواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينقدونه ويقولون هذا مصنوع"[1].

ومن مظاهر التحري الانشغال بأصل الراوية وبلده وقبيلته، مثل أبي عمرو بن العلاء الذي قال: " لقيت أعرابيا بمكة فقلت: ممن أنت؟ قال: أسدي، قلت: ومن أيهم ؟ قال: نمري، قلت: من أي البلاد؟ قال: من عمان، قلت: فأنَّى لك هذه الفصاحة؟ قال: إنا سكنا أرضا لا نسمع فيها ناجخة التيار، قلت صف أرضك، قال: سيف أفيح، وفضاء ضَحْضَح، وحَبل صردَح، ورمل أصْبَح، قلت: فما مالك، قال: النخل، قلت: فأين أنت عن الإبل؟ قال: إن النخل حملُها غذاء، وسعفها ضياء، وجذْعها بناء، وكرَبها صلاء، وليفها رشاء، وخوصها وعاء، وفروها إناء... "[2].

3 - القياس والمقابلة بين النصوص:

حرصا على الدقة، والخوف أحيانا من نقد الرواة والخصوم حرص العلماء على استعمال القياس والمقابلة بين النصوص المجموعة وعلى التحري قبل قبولها، أو الإعلان عن الشك في صحتها، فأبو عبيدة، مثلا: لما وجد نفسه أمام قطعة مشبوهة لحماد رجع إلى خمسة مخبرين من الأعراب قبل أن يقول عنها: إنها مصنوعة[3].

وكان العمق المعرفي للرواة يقوم بدور حاسم في توثيق الرواية وتوجيه معانيها.

4 – الإجماع:

---

[1] - المزهر، ج 1، ص 106، وشروح الشعر الجاهلي، ج 1، ص 68.

[2] - قال القالي: الناجخة: الصوت. والتيار الموج. والسّيف: شاطىء البحر. وأفيح: واسع والفضاء الواسع من الأرض. والضَّحْضَح: الصحراء. والصَّرْدح: الصلب. والأصبح: الذي يعلو بياضه حُمرة. والرشاء: الحبل. والقَرْو: وعاء من جذع النخل ينبذ فيه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية - بيروت، ج ط1، 1998، ص 120)

[3] - تاريخ الأدب العربي لبلاشير، ص 132، نقلا عن الأغاني، ج 6، ص 89.

اعتبر الرواة المحققون اتفاقهم على صيغة معينة لوثيقة دليلاً على صحة الرواية، كما عد اختلافهم دليلاً على فسادها، وهي قاعدة دافع عنها ابن سلام (توفي231ه) بقوة في مثل قوله: " وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه (أي من الشعر) أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صُحُفي. وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الأشياء فأما ما اتفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج منه"[1].

ويقول أبو علي المرزوقي (توفي 421ه): " وإذا تأملنا ما روي من الشعر، فالصحيح ما أجمع عليه رواة فضبطوه، ونفوا عنه شبهة الانتحال"[2].

من المسائل الخلافية

رغم أن لبعض الوثائق قداسة حيث يمنع الشطب والخدش والإضافة والحذف والتصويب، فإن العلماء اختلفوا في مسائل منها:

تصحيح الشواهد من القرآن الكريم.

من المحققين من رأى تصحيحها في المتن، ومنهم من رأى إبقاء النص القرآني الخاطئ يؤديه المحقق كما وقع من مؤلفه، وعن القاضي عياض: إن الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياخ أن ينقلوا الرواية كما وصلت اليهم ولا يغيروها في كتبهم، حتى في أحرف من القرآن استمرت الرواية فيها على خلاف التلاوة، ومن غير أن يجئ ذلك في الشواذ، كما وقع في الصحيحين والموطأ، لكن أهل المعرفة ينبهون على ذلك عند السماع، وفي الحواشي، ويقرؤون ما في الأصول على ما بلغهم[3].

إجبار نقائص بعض الأشعار

يحدث في التحقيق الفني للشعر أن يعمد بعض المحققين إلى إجبار نقائص بعض الأشعار؛ فأبو تمام، مثلا، كان في اختياره لعيون الشعر العربي، الموسوم

---

[1] - طبقات فحول الشعراء، ج1، ص 4.

[2] - انظر: منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر لحمروني، ص. 128 نقلا عن شرح المفضليات، ص 6 ميكروفيلم معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية.

[3] انظر الإلماع، ص185، وتحقيق النصوص ونشرها، ص48.

بالحماسة، يشذب ويهذب، ويجئ بشعر هو في معظمه على خلاف منزعه في النظم، الذي عدل فيه عن طريقة العرب أو عن عمود الشعر[1]، وطلب من الكلف الأدبية ما هو أصعب من المعتاد وأغرب. وفي ذلك يقول المرزوقي: " وهذا الرجل (أي أبو تمام) لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه، المجيب لكل داع، فكان أمره أقرب بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليّهم ومخضرمِهم، وإسلاميّهم ومولدِهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه؛ حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تَشِينه، فيَجبر نقيصته من عنده، ويبدل الكلمة بأختها في نقده، وهذا يَبين لمن رجع إلى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها"[2].

ومن العلماء من رأى أن هذا الإجبار للنقيصة لا يقلّل من أدبية الحماسة ولا من قوة حُجّيتها، باعتبارها نصوصاً يُستشهد بها في علوم اللغة العربية. يقول الزمخشري: "وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل على هذا بيت الحماسة، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه"[3].

منهج التحقيق لدى القدامى: تحقيق حماسة أبي تمام أنموذجاً:

تتنوع لدى محققي حماسة أبي تمام المشارب الثقافية والمنازع الفكرية، والمناهج النقدية، والوسائل الإجرائية؛ فمنهم من بنى عمله في التحقيق استناداً إلى قضايا محددة مثل أبي رياش[4] والديمرتي والنمري في عنايتهم بالأنساب والمعاني والأخبار التي قيل من أجلها النص. وابن جني في تناوله "للإعراب وما يلحق به من

---

[1] - انظر: تقديم الأستاذ عبد السلام محمد هارون لتحقيق شرح ديوان الحماسة، ص9.

[2] - انظر: مقدمة المرزوقي لديوان الحماسة، ص13- 14

[3] - تفسير الكشاف، ج1، ص221. الخزانة، ج1، ص4.

[4] - أبي رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني (ت 339هـ-).

اشتقاق أو تصريف"[1]، وأبو هلال العسكري[2] في "عنايته بتصحيح نسبة الأبيات إلى الشعراء، وتوضيح بعض ما غمض في ذلك، مع العناية ببيان اشتقاق أسمائهم"[3]. ومنهم من تعمقت لديه المعرفة بنظرية الإبداع وتنوعت الآلات الإجرائية، فانشغل زيادة على ذلك بقضايا معرفية أخرى، كما هو الحال في تحقيق أبي علي المرزوقي والتبريزي في المشرق. والأعلم الشنتمري وابن زاكور في الغرب الإسلامي[4].

ويتصدر جهود هؤلاء العلماء في قراءة الشعر وتوثيقه وتحقيقه وتأويله مقدمات منهجية، لعل أهمها، في التنظير للإبداع والنقد ولمفاهيمهما الإجرائية، مقدمة أبي علي المرزوقي؛ فقد أجمل فيها أهم قضايا نقد الشعر والنثر العربيين، وأصل لمعايير أسلوبية مشتركة بين الفنين، وأخرى خاصة بكل واحد منهما. وبين أن بالمنهج والبراعة في استعمال قدر من المقومات الجمالية، يتحدد منزع المبدع، ورتبته في سلمي الأدبية والمجتمع، وتتعين المقاييس الضابطة التي تستعمل في التوثيق والتحقيق والقراءة والتأويل، وتحول دون إصدار أحكام زائفة وظالمة[5].

وفي مقدمة القضايا التي استبدت باهتمامهم:

من جهة الوسائط: مدى مطابقة النسخ المجموعة للنسخة الأم لديهم. وأعلاها النسخة التي كتبها المؤلف ذاته.

وقد وجدوا، بالنظر إلى الأبواب، أن من الرواة من أضاف إلى الاختيار زيادة على الموجود في الأصل المنسوب إلى أبي تمـــام باباً بكامله؛مثل النمري في روايته

---

[1] - انظر: تقديم الأستاذ عبد السلام محمد هارون لتحقيق شرح ديوان الحماسة، ص13. ومقدمة الدكتور محمد حسين نقشة لشرح ديوان الحماسة المنسوب لأبي العلاء المعري، ص20.

[2] - أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت 395هـ-).

[3] - انظر: تقديم الأستاذ عبد السلام محمد هارون لتحقيق شرح ديوان الحماسة، ص 11.

[4] - انظر: شروح المغاربة والأندلسيين لحماسة أبي تمام، في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز- فاس العدد 14، 2006.

[5] - انظر: مقومات الرؤية النقدية عند أبي علي المرزوقي.

لحماسة أبي تمام وتبعه في ذلك الأعلم الشنتمري وابن زاكور الفاسي.

من جهة القائل: وجدوا أحيانا خلط قول شاعر بقول شاعر آخر، ونسبة قول لأكثر من قائل.

ومن جهة المقول له: سعوا إلى تعريفه وضبط هويته.

ومن جهة المقول فيه أو الموضوع: بحثوا في مدى الإصابة في الوصف أو الإرجاع.

ومن جهة سنن القول: راعوا مدى الاستجابة لطريقة العرب أو لعُمد الشعر.

ومن جهة القول: لا حظوا أثناء قراءة الحماسيات إضافة الرواة لبيت أو أكثر. وتكرار أبيات وتغيير ترتيب أخرى، والتحريف والتصحيف الذي يكون سببه تقديم الحروف والكلمات أو تأخيرها، والتخفيف والتثقيل، والشكل والإعجام، وتغيير الحروف والألفاظ...

توثيق الروايات:

أما حين تناولوا توثيق الروايات وتحقيقها، فقد اكتفوا بالإشارة، أحياناً، إلى الاختلاف في الرواية وتجاوزوا الإشارة، أحياناً أخرى، إلى المفاضلة التي جاءت تارة غير معللة، وأخرى معللة. وهم حين يعللون يصير التوثيق، ولا سيما لدى موثقين مثل المرزوقي، والتبريزي والأعلم الشنتمري وابن زاكور قراءة فنية للنص، وكثيراً ما تجاوزوا القراءة والتوثيق والتحقيق إلى إنتاج الدلالات الظاهرة التعيينية والخفية التضمينية، وذلك حين يفاضلون استناداً إلى أسس نصية؛ مثل: دلالة الألفاظ والتعابير وسلامتها من عيوب التصحيف والتحريف، وتحكيم معطيات اللغة والصرف، والترقيم، وقواعد النحو، وقوالب البلاغة والعروض والقافية، ومفاهيم النقد. وأخرى عبرنصية مثل التضمين، وخارج نصية؛ مثل: المقابلة بين النصوص، والاحتكام إلى الشاهدين العقلي والنقلي من القرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوي الشريف، والشعر، والمثل، والتاريخ، والمعرفة بالمواقع الجغرافية،

وأقوال علماء من مشارب ومذاهب متعددة، ومن مختلف الأجيال. سواء كانت هذه الأقوال متصلة السند أو مقطوعة[1]. وقد تتكامل هذه الأسس لديهم، أحياناً.

منهج التحقيق لدى المحدثين ؛عبد السلام محمد هارون أنموذجاً:

ينصرف جهد المحدثين في التحقيق حينما يتعلق الأمر بالعتبات الخارجة عن النص، إلى:

تحقيق عنوان الكتاب،

وتحقيق اسم المؤلف،

وتحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

وحينما يتعلق الأمر بالمتن ينصرف جهد المحقق إلى: إخراجه، مثل جمهور المحققين القدامى، بأمانة، بالصيغة التي هو عليها في الأصل، وإن بدا له ما يخالف الصواب "نبه عليه في الهامش أو في آخر الكتاب وبين وجه الصواب فيه دون تدخل في المتن. قال عبد السلام محمد هارون: " ليس تحقيق المتن "تحسيناً أو تصحيحاً، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ، فإن متن الكتاب حكم على المؤلف، وحكم على عصره وبيئته، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير"[2].

واختلفوا، مثل القدامى، في تصحيح الشواهد القرآنية؛ فمنهم من رأى تصحيحها في المتن، وقد تبنى عبد السلام محمد هارون هذا المنزع واشترط تنبيه المحقق على التصحيح في الهامش، ومنهم من رأى إبقاء النص القرآني الخاطئ يؤديه المحقق كما وقع من مؤلفه، والمسألة خلافية منذ القديم، وقد بسط ابن الأثير الكلام فيها في كتابه اختصار علوم الحديث[3].

---

[1]- انظر تفصيل هذا في كتابينا. مستويات القراءة والتأويل، وقضايا توثيق الرواية.

[2]- تحقيق النصوص ونشرها، ص48.

[3]- انظر: تحقيق النصوص ونشرها، ص48. وفيه إشارة إلى أن ابن كثير بسط الكلام فيه في كتابه اختصار علوم الحديث، وإلى أن هذا الكتاب طبع مشروحاً باسم الباعث الحثيث، ص162- 163.

والتصحيح للآيات القرآنية يكون بالرجوع إلى المصحف وإلى كتب القراءات وكتب التفسير؛ ففي كتب القراءات يرجع المحقق إلى كتب القراءات السبع، ثم العشر، ثم الأربع عشرة، ثم كتب القراءات الشاذة، وفي كتب التفسير يلجأ إلى تلك التي تعنى عناية خاصة بالقراءات كتفسير القرطبي وابن حيان. ويجب على المحقق أن لا يتدخل في الشاهد القرآني فيذكر الحرف أو الكلمة التي تركها المؤلف[1].

وأما نصوص الحديث فيجب توثيقها بالرجوع إلى مصادر الحديث لقراءة نصوصها وتوثقها وتخريجها إن أمكن التخريج، ويجب أن لا يتدخل في رواية المؤلف، وإن بدا له رأي حول رواية المتن سجله في الهامش.

وبنفس المنهجية يتم التعامل مع الأمثال والأشعار ونحوها، حيث يرجع المحقق إلى المصادر لقراءة النص وتخريجه، محترماً رواية المؤلف إذا تيقن أن ما في النسخة هو ما قصده المؤلف وأراده، ولا سيما إذا كان يبني على تلك الرواية حكما خاصاً، "فهذا قيد شديد يحرم على المحقق أن يتناول النص بتغيير أو تبديل[2].

أصول الوثيقة وسبل فحصها:

يظل أحسن وسيط لتلقي الوثيقة هو سماعها كاملة من صاحبها، أو تلقيها مكتوبة، وقد عدد عبد السلام محمد هارون أصول الوثيقة المكتوبة فيما يلي[3]:

- النسخة الأم: وهي التي تصل حاملة "عنوان الكتاب واسم مؤلفه، وجميع مادتها "على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه، أو يكون قد أشار بكتابتها أو أملاها، أو أجازها، ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها أو إقراره لها".

- وتلي نسخة الأم في الأهمية "النسخة المأخوذة عنها ثم فرعها ثم فرع فرعها وهكذا"[4]. وإذا كان الأصل والفرع منقولين بالكتابة وجب أن يعتمد المحقق في التأكد من صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه على المعطيات الخارجة على النص وفي

---

[1] - المرجع نفسه، ص51.

[2] - المرجع نفسه، ص52.

[3] - تحقيق النصوص ونشرها، ص29 - 36.

مقدمتها الخط والتاريخ والورق؛ فقد ينسخ الكتاب ناسخ، ويأتي المنسوخ فاقداً لعلامات تميزه عن النسخة الأم.

- والمنسوخ عن النسخة الأم قد يكون مستقلا بذاته في مؤلف، وقد يرد نصاً ضمن مؤلف أو أكثر. وهو أصل للوثيقة إن تحقق النقل الأمين. ومن مظاهر الأمانة أن يكتب الناسخ في نهاية النسخ ما يميز المنسوخ عن النسخة الأصل ويحول دون جعل القارئ يخلط بين الأصل والفرع.

و"المصورات من النسخ بمنزلة أصلها، "ما كانت الصورة واضحة تامة تؤدي أصلها كل الأداء، فمصورة النسخة الأولى هي نسخة أولى، وصورة الثانوية ثانوية أيضاً. وهكذا"[1].

- المسودات والمبيضات؛ "ويراد بالمسودة النسخة الأولى للمؤلف قبل أن يهذبها ويخرجها سوية، أما المبيضة فهي التي سويت وارتضاها المؤلف كتاباً يخرج للناس في أحسن تقويم"، وهي الأصل الأول، وإذا تواجدتا معا اعتبرت المسودة أصلا ثانوياً يستأنس به في تصحيح القراءة فقط. ولينتبه المحقق إلى أن المؤلف قد ينسخ كتابه مرات، وفي فترات زمنية متقاربة أو متباعدة، وقد يزيد فيه أو ينقص وقد يتولاه بالاختصار والتشذيب والتهذيب. وقد يصعب أحيانا التمييز بين النسخة السابقة واللاحقة مما يستدعي البحث عن قرائن نصية أو خارج نصية تساعد على التحقيب والتوثيق.

وقد اختلف تعامل المحققين مع النسخ المطبوعة التي فقدت أصولها أو تعذر الوصول اليها، فمنهم من يهملها، ومنهم من يعدها أصلا، واشترط عبد السلام محمد هارون "أن يتحقق الاطمئنان إلى ناشر المطبوعة والثقة به"، أما "الطبعات التي تخرج للتجارة ولا يقوم عليها محقق أمين فهي في تقديره نسخ مهدرة بلا ريب"[2]، ولا يمكن أن تكون أصلا للتحقيق.

ورتب (عبد السلام محمد هارون) منازل أصول المحققات كالتالي:

---

[1] -. تحقيق النصوص ونشرها، ص32.

[2] - تحقيق النصوص ونشرها، ص 32.

أولها نسخة المؤلف.

تليها النسخة المنقولة عنها ثم فرعها وفرع فرعها وهكذا.

إذا تعذر وجود نسخة المؤلف نجعل النسخة المنقولة من نسخة المؤلف في المرتبة الأولى.

إذا لم توجد إلا نسخ مجهولات سلسلة النسب، اعتمد المحقق على فطنته وعلى معطيات خارج نصية مثل خطوط العلماء، في الاهتداء إلى النسخة الأجود سواء كانت قديمة أو حديثة. مراعياً قدم التاريخ في النسخ المعتمدة في التحقيق "ما لم يعارض ذلك اعتبارات أخرى تجعل بعض النسخ أولى من بعض في الثقة والاطمئنان كصحة المتن، ودقة الكاتب، وقلة الأسقاط، أو تكون النسخة مسموعة قد أُثبت عليها سماع علماء معروفين، أو مُجازة قد كتب عليها إجازاتٌ من شيوخ موثقين"[1].

وتاريخ النسخ مهم في التأريخ للنسخة وموقعتها زمنياً، لذلك" يجدر بفاحص النسخة أن يقف طويلاً عند تاريخ النسخة، فكثير من الناسخين ينقل العبارة التي تثبت في العادة في نهاية النسخة، ينقلها كما هي، غير مراع للفرق الزمني بينه وبين الناسخ الأول، فيخيل للفاحص أنه إزاء نسخة عتيقة على حين يكون إزاء نسخة كتبت بعدها بنحو قرنين من الزمان، وهنا يتحكم الخط والمداد والخبرة بهما، واسم الناسخ الأول والثاني، في تحقيق هذا التاريخ "[2]. وفي هذا السياق نبه عبد السلام محمد هارون على أن ليست آثار العث والأرضة والبلى دليلا قاطعاً على قدم النسخة، فقد تكون في مخطوطات لا يتجوز عمرها خمسين عاماً. وإذا خلت الوثيقة من التعقيبة التي تضمن تسلسل الكتاب اعتمد على السياق النصي في التأكد من صحة ترتيب محتويات الوثيقة، وليستعن بكل القضايا الخارج نصية التي سبق تعدادها[3].

---

[1] - المرجع فسه، ص 38.

[2] - تحقيق النصوص ونشرها، ص 40.

[3] - المرجع نفسه.

مقتضيات إقامة النص الوثيقة:

أولاً: جمع أكبر قدر ممكن من نسخ الوثيقة.

ثانياً: جمع أكبر قدر ممكن من المصادر التي لها صلة بالوثيقة، وفي مقدمتها كتب صاحب الوثيقة، والكتب التي استقى منها معلوماته، والكتب التي استقت منه، والكتب التي لها علاقة بمجال الوثيقة، وكتب اللغة، وكتب المفاهيم الاصطلاحية، وكتب أعلام الناس والبلدان والقبائل.

ثالثاً: الإلمام بالمعارف التي تحقق القراءة السليمة، وفي مقدمتها الاستئناس بنمط الكتابة التي أنتجت بها الوثيقة؛ خطوطاً ورموزاً واختصارات، وتعرف المجال المعرفي للنص، ومنزع صاحب النص في التأليف والإبداع، وخصوصياته.

تحرير النص الوثيقة

بعد التمرس بقراءة نسخ الوثيقة يقوم الموثق المحقق بتحرير النص وتوجيه دلالته وتقييدها بواسطة الضبط بالحركات، ووضع علامات الترقيم ومن أشهرها لدى المحققين المحدثين:

النقطة (.) بعد الجملة التامة المعنى.

والنقطتان (:) بعد القول، وعند تفصيل المجمل.

والفاصلة (،) بين الجمل الصغرى المفيدة.

والفاصلة المنقوطة (؛) بين جملتين تربطهما علاقة.

والشرطة (-) قبل الجملة الاعتراضية وبعدها، وفي العد.

وعلامة الحذف (...) وسط الكلام للدلالة على الحذف.

وعلامة الاستفهام (؟) بعد الجملة الاستفهامية.

وعلامة التعجب (!) بعد الجمل الدالة على الانفعال والتأثر والدهشة والاستغراب.

وعلامات التنصيص (« ») التي تحصر الكلام المقتبس وتميزه عن غيره.

والقوسان ( )، ويستعملان في مواضع منها: إبراز بعض الكلمات وإظهارها.

وعلامة التكملة [ ]، وبعضهم يستعمل النجوم (* **) أو الأقواس المعتادة.

والمطلوب من محرر النص الالتزام بالدقة التي أشرنا اليها سابقاً، وإذا صادف خطأً في المتن نبه على ما يراه صواباً في الهامش. وامتنع عن تصويب المتن موضع التوثيق أو الزيادة فيه أو النقصان.

وإذا تعددت الروايات قارن بينها ونبه على أوجه الاتفاق مع رواية النسخة الأم والاختلاف.

الأرقام، ومنها:

- أرقام صفحات الأصل المعتمد في التحقيق، "وتوضع في أحد جانبي الصفحة على أن يُعين بدؤها في صلب الكتاب بوضع علامة خاصة كخط مائل (/) أو رأسي (ا) أو نجم (*).

- أرقام الطبعات السابقة، ويستعملها الذين يحققون نصوصاً سبق نشرها.

- أرقام الأسطر. "وتوضع على جانب آخر غير الجانب الذي وضعت فيه الأرقام السابقة"[1].

التعليق

يتضمن التعليق عادة:

- شرح النافر من الألفاظ، والغامض من الأعلام والأماكن والبلدان، والعادات والتقاليد، والأحداث التاريخية، والظواهر الفنية والأدبية والعلمية.

- اسم السورة، ورقم الآية.

- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة بالرجوع إلى كتب الحديث الصحيحة، وبالاستعانة بالمعجم المفهرس للأحاديث النبوية.

- تحديد موطن الشواهد من الأشعار والأرجاز وأقوال العرب، في الدواوين والكتب، وتحقيق نسبها إلى أصحابها. ويقتضي منهج المحققين المحدثين أن يشير

[1] - تحقيق النصوص ونشرها، ص 88.

المحقق "عند اقتباس نصوص في التعليق، إلى الموارد التي استقى منها، وذلك بأن يذكر الكتاب، ومؤلفه، والجزء والصفحة التي وجد فيها النص"[1].

- تخريج الأمثال: بالعودة إلى كتب الأمثال، وفي مقدمتها مجمع الأمثال للميداني.

- ربط أجزاء الوثيقة بعضها ببعض، والتنبيه على السابق واللاحق وتحديد محل وروده في صفحات المتن السابقة أو اللاحقة.

تقديم النص

يتفاوت تقديم النص من محقق إلى آخر تبعا لتكوينه العلمي ولطبيعة المتن المحقق، وجل المحققين يمحور تقديمه حول:

- موضوع النص وعلاقته بغيره من النصوص.

- دراسة للنص وتحقيق نسبته لصاحبه.

- وصف النسخ المعتمدة في التحقيق وبطال خطها، وورقها، وحجمها ومدادها، وتاريخها. وإجازاتها، وتمليكاتها، وقيمتها الفنية أو العلمية أو التاريخية أو الروحية...

- ثبت الصفحة الأولى والأخيرة إن كانت الوثيقة عبارة عن مخطوط[2].

- التعريف بصاحب النص وبعصره.

- أهمية النص ودواعي تحقيقه.

الفهارس

يتوج المحقق عمله بإنجاز الفهارس، التي تسهل على الباحث إمكانية الولوج إلى المعلومة بأيسر السبل، واستثمار الوثيقة في خدمة البحث العلمي وتنميته. والفهارس أنواع:

---

[1] - تحقيق النصوص ونشرها، ص 82. في منهج تحقيق النصوص التراثية، نجاة المريني ضمن أعمال ندوة كتحقيق النصوص التراثية التصور والواقع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1427هـ - 2006، م، ص23.

[2] المرجع نفسه، ص84، و تحقيق التراث في الأبحاث الجامعية: حصيلة وآفاق، ص63.

منها ما هو عام ومشترك بين الموثقين المحققين، مثل:

فهرس الدراسة ويضم المقدمة والأبواب والمتفرع عنها والخاتمة. ولاسيما إذا كان التحقيق مشروعاً لنيل شهادة جامعية.

وفهرس المتن المحقق ويضم:

- فهرس الآيات القرآنية،
- وفهرس الأحاديث،
- وفهرس الأشعار،
- وفهرس الأرجاز،
- وفهرس الأمثال،
- وفهرس الأعلام،
- وفهرس القبائل والأمم والطوائف،
- وفهرس البلدان.
- وفهرس الكتب المشار اليها في النص،
- وفهرس مصادر التحقيق ومراجعه،

ومنها ما هو خاص، مثل: فهرس اللغة، وفهرس المصطلحات التي تختلف باختلاف المجال المعرفي، وفهرس الفهارس.

الاستدراكات والتذييلات

يوضع الاستدراك والتذييل في نهاية النص الموثق من أجل استدراك بعض التحقيقات والتوضيحات والتصحيحات.

خاتمة

يتضح مما سبق أن أحسن وسيلة لتوثيق الوثيقة هو تلقيها بأكبر قدر ممكن من الوسائط، وفي مقدمتها الوسيط السماعي. في معظم الأحيان يتعذر التلقي عياناً (بالسمع والمشاهدة والذوق واللمس والشم)، وآنذاك يحتاج القارئ الموثق المحقق المؤول حتى ولو كان صاحب النص نفسه، إلى استعمال كل الوسائل

المكتوبة المتاحة من أجل تمثيل صيغة الوثيقة الأصل. إمكانية التمثيل للوثيقة تحتاج إلى تقريب الفجوة بين زمن إنتاج النص ولحظة تلقيه، وذلك بتوفير الوسائط المكتوبة والنجاح في ترتيبها زمنياً، وفي توثيق ما تحتويه من روايات استناداً إلى المقابلة بين النصوص، والتحليل والتعليل استناداً إلى معطيات نصية وعبر نصية وخارج نصية.

مصادر البحث ومراجعه

المصادر

القرآن الكريم

أ = شرح حماسة أبي تمام

_ الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع. القاضي عياض بن موسى اليحصبي، المتوفى سنة (430هـ-). دار التراث، القاهرة - المكتبة العتيقة، تونس، 1398هـ/1978م

- البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، توفي 552 هـ- /869م)، تحقيق ذ. عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثني ببغداد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960م - 1961م.

- إنباه الرواة على أنباء النحاة، القفطي (أبو الحسن علي بن يوسف، توفي646هـ-)، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية 1950-1955م.

- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن، توفي 911هـ/1505م)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، ط1، 1969.

- تصحيفات المحدثين، العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد توفي 382هـ- /992م)، ضبط وتصحيح الأستاذ أحمد عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988.
- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار. الصنعاني(محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني توفي 1182هـ)، نشر: المكتبة السلفية - المدينة المنورة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، عدد الأجزاء: 2. نسخة الشاملة.
- التعريفات، الجرجاني (الشريف علي بن محمد، توفي 810 هـ- /1407م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1983.
- التفسير الكبير، الرازي، (فخر الدين محمد بن عمر التيمي البكري، توفي 606هـ- / 1210م)، الجزء العاشر، ط2، دار الكتب العلمية، طهران، بدون تاريخ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء اسماعيل، توفي 774هـ- /1372م)، الجزء الثاني، طبعة دار الفكر، بيروت، 1389هـ- / 1970م.
- التنبيه على حدوث التصحيف، الأصفهاني (حمزة بن الحسن، توفي 360هـ- / 985 م. تحقيق د. محمد أسعد طلس، دمشق 1388/هـ- 1968 م.
- التنبيهات على أغاليط الرواة في الكتب المصنفات، الأصفهاني (علي بن حمزة، توفي375هـ- /985م) طبع مع "المنقوص والممدود" للفراء، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف، 1977.
- الحماسة، أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي، توفي 231هـ- /846م)، تحقيق د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، جزآن، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1410هـ- /1981م.
- الخصائص، ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت392هـ- /1002م)، الجزء الأول، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان1952، الجزء الثاني والثالث، طبعة دار الهدى، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- شرح حماسة أبي تمام، الأعلم الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي، توفي476هـ- /1082م)، تحقيق د. علي المفضل حمودان،

ط1، دار الفكر، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سوريا 1992.
- شرح التبصرة والتذكرة. الحافظ العراقي. المحقق: د. ماهر ياسين فحل. دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1423- هـ- 2002م. نسخة الشاملة. ترقيم الكتاب موافق للمطبوع.
- شرح ديوان الحماسة، التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب، توفي502 هـ-)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة 1358 هـ-.
- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد، توفي 421 هـ-)، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة 1967. وط1، دار الجيل بيروت، لبنان، 1411هـ- /1991م.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد توفي 382هـ- /992م)، تحقيق د. السيد محمد يوسف، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1981.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة (أبو عبد الله بن مسلم، توفي 276 هـ- /889م)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط3، دار التراث العربي 1977.
- الصناعتين= كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، العسكري (أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل، توفي 395 هـ-)، تحقيق د. مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1981.
- طبقات فحول الشعراء (محمد بن سلام الجمحي، توفي231هـ-)، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة 1974.
- طراز الحلة = كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة للرعيني، (الإمام أبو جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف الغرناطي، توفي 779 هـ-)، تحقيق د. رجاء السيد الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية اسكندرية، (تاريخ المقدمة 1990).

- العمدة = العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن)، تحقيق د. محيي الدين عبد الحميد، ط4. دار الجيل. بيروت، 1972م.
- عنوان النفاسة في شرح الحماسة، ابن زاكور (محمد بن القاسم بن محمد بن عبد الواحد، توفي 1120هـ)، مخطوطة دار الكتب التونسية، رقم 6444، رقم الفيلم 2.
- عيار الشعر، ابن طباطبا (أبو الحسن محمد بن احمد العلوي، توفي 322هـ/934م)، تحقيق د. طه الحاجري، وتحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1405هـ/1985م.
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، السخاوي، (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت902هـ)، نشر: دار الكتب العلمية – لبنان، ط1، 1403هـ.
- الفهرست، ابن النديم (محمد بن اسحاق، توفي 585هـ /995م)، نشر دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.
- الكشاف، الزمخشري، (أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمر، توفي، 538هـ/1143م)، الجزء الأول، طبعة 1977.
- لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت711هـ)، دار صادر، بيروت.
- المزهر= المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن، توفي 911 هـ)، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي بمصر.
- معاني أبيات الحماسة، النمري (أبو عبد الله الحسين بن علي، توفي 385هـ/995م)، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، ط1، مطبعة المدني، 1983.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (أبي الحسن، توفي 684 هـ- /1285 م)، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1981.

المراجع

- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، الجزآن: الأول والثاني، ترجمة د. عبد الحليم النجار، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر 1959م.
- التأويل: مفهومه وأدواته الإجرائية، د. العياشي السنوني. مجلة كلية الاداب والعلوم الإنسانية، العددان 30 - 31، أبريل 2006، من ص187 إلى ص198.
- تحقيق التراث في الأبحاث الجامعية: حصيلة وآفاق، د. سليمان دريع العازمي، في: ضمن أعمال الندوة الدولية: تحقيق التراث المخطوط، والبحث العلمي الأكاديمي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، أنفو برانت، فاس 2011.
- في منهج تحقيق النصوص التراثية، نجاة المريني، ضمن أعمال ندوة تحقيق النصوص التراثية، التصور والواقع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1427هـ - 2006م.
- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1418هـ = 1998م.
- تقديم الأستاذ عبد السلام محمد هارون لتحقيق شرح ديوان الحماسة.
- شرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ط2، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1398هـ- /1978.
- شروح الشعر الجاهلي، أحمد جمال العمري، جزآن، ط1، دار المعارف، القاهرة 1981.
- شروح المغاربة والأندلسيين لحماسة أبي تمام، أ. د العياشي السنوني، في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز- فاس العدد 14، سنة 2006.
- قضايا توثيق الرواية، د. العياشي السنوني، ط1، أنفو برانت، فاس 2007-

- قضايا دلالية، د العياشي السنوني، ط 1، أنفو برانت، فاس، 1987.
- اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، طبعة دار المعارف سنة 1966.
- المتباين والمترادف والمشترك والمتضاد، د. العياشي السنوني، ضمن أعمال ندوة الدراسات المصطلحية والعلوم الإسلامية، الجزء الأول، 1993، ص189 وما بعدها. -
- مدخل إلى علم المخطوط، جاك لومير، ترجمة: مصطفى طوبي، إشراف وتقديم: أحمد شوقي بنبين، المطبعة والوراقة الوطنية، 1427هـ/2006م
- مستويات القراءة والتأويل، د. العياشي السنوني، ط1، أنفو برانت، فاس 2007.
- مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، 1962.
- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ، د. الشاهد البوشيخي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979.
- مفهوم الوصف بين النظرية والتطبيق د. العياشي السنوني، مجلة كلية الآداب، العدد 4، السنة 1988.
- مقدمة الأعلم الشنتمري لشرح الحماسة.
- مقدمة الدكتور محمد حسين نقشة لشرح ديوان الحماسة المنسوب لأبي العلاء المعري، ص20.
- مقدمة تحقيق الحماسة، دكتور عبد الله عسيلان. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1410هـ- /1981م
- مقومات الرؤية النقدية عند أبي علي المرزوقي، د. العياشي السنوني، ط1، أنفو برانت، فاس 2007.
- منهج التبريزي في شروحه، والقيمة التاريخية للمفضليات، د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب 1974.
- النص الموازي، أحمد المنادي، مجلة علامات، المجلد 16، الجزء61، جمادى الأولى 1. ماي 2007، من ص 139 إلى 156.

من ضرورات التحقيق وثقافة المحقِّق

د. عبد الرزاق صالحي
كلية الآداب ظهر المهراز- فاس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي محمد الرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه، من تبعهم بالصالحات.

وبعد.

هذه كلمة تقصد غاية من غايات التأليف المعلومة عند العلماء، وهي جمع المتفرّق، على حد قول الناظم :

أَلاَ فَـاعْلَمَن أنّ التّـآليفَ سَـبْعَةٌ لِكُـلِّ لَبِيـبٍ فـي النَّصـيحَةِ خَـالِصِ

فَشَـرْحٌ لإغْـلاقٍ، وتَصْـحيحُ مُخْطِـيءٍ وإبْـداعُ حَبْـرٍ مُقْـدِمٍ غيْـرِ نَـاكِصِ

وتَرْتيـبُ مَنْثـورٍ، وجَمْـعُ مُفَـرَّقٍ وتَقْصـيرُ تَطْويـلٍ، وتَتْمـيمُ نَـاقِصِ

وقد رُمْتُ فيها جمع ما تفرق في كتب العلماء والمحققين، ومحاضراتهم، من ضرورات تَجِبُ في حقِّ كل من يتصدى للتحقيق، وعنونتها بـ "**من ضرورات التحقيق وثقافة المحقِّق**".

و"من" هنا فصل أخرج "الكل" لامتناع ذلك، لقصور صاحبها عن الإحاطة بالكل، ورعيا للمقام، وخشية التطويل.

ثم لقد بسطت هذه الكلمة- متوخيا التنظيم والتناسب- في :

. مدخل :

أولا: من ضرورات العلم أو الفن:

ثانيا: من ضرورات فقه ذات المخطوط: وفيه:

1 . من متعلقات المؤلِّف .

2 . من متعلقات النَّسْخ أو الناسخ.

3 . من متعلقات قارئ التحقيق.

4 . من متعلقات متن المخطوط.

ثالثا: من ضرورات ثقافة المحقق . (تحقيق المخطوط الأدبي أنموذجا):

1 . ما يُثْقَفُ مِنَ العلوم بالضرورة.

2 . مِنْ متعلقات التعليق.

ثم خاتمة جامعة .

المدخل :

مجال المخطوط واسع تنتظم فيه مجموعة معالم؛ منها أن التحقيق إما تحقيق فرد جاهل لا فِقْهَ له بواقع التحقيق ومناهجه، وإما تحقيق خاص يَتَصَدَّى له عالم مختص، أو عالمان، أو ثلاثة؛ وإما تحقيق مؤسساتي تُشرف عليه مؤسسة علمية معروف تعنى بالتراث ومخطوطه.

وبالنظر إلى واقع الكتب المحققة، وهذه الأطياف من المحققين، فإن مجال التحقيق يعيش فوضى غير خَلّاقَةٍ، تضر التحقيق، وتملأ الميدان الثقافي والتآليف بِالْغَثِّ والثَّمِينِ، وَتُرْبِكُ المبتدئين في المجال.

وفي سبيل مجابهة هذه الفوضى، تروم هذه الورقة تبيان المشترك العلمي والمنهجي المتفق عليه عند أغلب هذه الصناعة، وأهل العلم بالمجال، بغية هَدْيِ غير المتمرسين بالتحقيق، وأصحاب الواحدة، أي التحقيق الوحيد، إلى معرفة الطريق، وفقه حقيقة التحقيق، معتمدين بيان بعضه وتَبَيُّنَ أجرأته في الخطوات الآتية:

أولا: من ضرورات العلم أو الفن:

أ . العلم بمصطلحات الصناعة :

مما ينبغي للمحقق العلم به في مجال التحقيق عِلْمُ مصطلح هذه الصناعة، ويشمل المصطلحات الكلية، ومجموعة من المصطلحات الفرعية، من مثل التفريق بين علم المخطوط أو الكوديكولوجيا أو علم الاِكْتِنَاهِ عند بعضهم[1]،

[1] - ينظر: علم الاكتناه، د. قاسم السامرائي.

وبين علم التحقيق، فالأول يعنى بالخارجي عن النص، والثاني بالنص عينه؛ ومن مثل التفريق بين التحقيق والتعليق، وإن وجد من لا يُفَرِّقُ بينهما؛ ومن مثل التفريق بين التحقيق والنَّشر[1]؛ وما أشبه.

ب . الوعي بتعدد مدارس التحقيق:

إن المتتبع للمنجز مما حُقِّقَ من كتب التراث، أو لكتب علم التحقيق التي ألفها علماء محققون، يدرك أن مناهج المحققين مختلفة، وإن اشتركت فيه كثير من أصول هذا العلم؛ لأجل ذلك وجب على المحقق المبتدئ أن يختار المنهج الذي يلائم قدراته العلمية، فيلتزم به في أعماله؛ وإن كنت لا أرى مانعا من انتخاب الأنسب من كل منهج للمخطوط المقصود بالتحقيق، لأن العبرة هي بإخراج النص في أحسن وجه علمي مقبول.

ثانيا: من ضرورات فقه ذات المخطوط:

1 . من متعلقات المؤلِّف:

المخطوط إما مجهول المؤلِّف، لا سبيل إلى معرفته، وإما مجهول يمكن، من خلال التنقيب والتفتيش، الوصول إلى تحديد اسمه، والتدليل على نسبة المخطوط إليه. فلا يليق بالمحقق المبتدئ، أو المحقِّق غير المتقن لعلم متن المخطوط من العلوم والمعارف المبثوثة خلاله، الجرأة على مثل هذا اللون من المخطوطات، ويترك ذلك إلى غيره من أهل الصناعة، وأهل الاختصاص في العلم، أو في المعرفة الْمُثْبَتَةِ في المتن.

ثم إذا عُرِفَ المؤلِّفُ في أصل المخطوط، أو تم الكشف عنه بعد جهل، فإن الواجب . قبل الخوض في مضايق المخطوط ومغالقه . معرفة الرّجُلِ حق المعرفة باستقراء تراجمه في كتب الرجال، والتمرس بمؤلفاته الأخرى، المطبوعة أو المخطوطة، لنقف على شبكة علمية أو بصمة علمية عنده، تحكم قراءتك لمخطوطه والتأوّل والترجيح لما أشكل منه.

[1] - النشر: هو الاعتماد على نسخة المؤلِّف بخطه.

ومن متعلقات المؤلّف أيضا ضرورة الوعي بشرط الانتماء العلمي لِلْمُؤَلِّفِ، إذ لا يخلو مُؤَلِّفُ كِتابٍ مخْطوطٍ مِنْ أنْ يكون مُنْتَمِياً إلى فكر، أو مذهب، أو مدرسة تكون مخالفة لغيرها؛ فربما وقف المحقق . مثلا . على خاصية من خواص مدرسة يجهلها، فيصحح المتن وفق جهله، كأن يعتقد متوهما أن "الفاء" الواقعة في جواب شرط "أما" سقطت في نسخة مخطوط، فيقضي وفق هذا الفهم دون أن ينتبه إلى أن المؤلّف من الكوفيين ممن يجوزون الاستغناء عن الفاء في جواب " أما" عكس البصريين.

2 . من متعلقات النسخ أو الناسخ:

إنّ النَّسْخَ مشكل خطير من معضلات النص-الوثيقة، ولأجل ذلك وجب على المتصدي للتحقيق الوعي بهذه الخطورة، والعِلْمَ بمكامنها في التراث العربي المخطوط .

فقد يتعب النّاسِخ حين نسْخِه للكتاب أكثر من مرّةٍ، فينتج عن ذلك التعب أخطاء كبيرة من شأنها أن تطمس معالم نص الْمُؤَلِّفِ، فَتُقَوِّلَهُ ما لم يَقُلْهُ، بتحريف، أو تصحيف، أو خلل في ترتيب أبواب الكتاب، أو في ائتلافها، أو اتّكالٍ على مافي الصّدْرِ دون النظر في المنسوخ حين تكرار النّسْخِ، أو ما إلى ذلك من أخطاء النَّسْخِ.

كما أن تعدُّدَ النُّسَخِ[1] يصبح من الإشكالات المؤثّرة في التحقيق والتوثيق، كما يَعْضِلُ بالمحَقّقِ الجهل ببعضها، أو عدم القدرة على الوصول إليها. ومن هنا تَتَبَدَّى أهمية الإحاطة بنُسَخِ المخطوط الواحد قبل البدء في عملية التحقيق، ولا يكفي في هذه المرحلة من البحث عن أصول المخطوط الاقتصار على المدونات

[1] - ينظر ما كتبه د. مهدي فضل الله من أسماء أنواع النسخ المعروفة في مجال التحقيق، كالأمّ، والمُصَدَّقَة، والمُوَثَّقَةِ، والمسموعة، والمنسوبة، والسقيمة، والمعيبة، ينظر: ص 145 - 146.

والفهارس المتعلقة بمثل هذا البحث[1]، بل لابد من استشارة أهل الاختصاص، من المحققين للتراث، والمعنيين بالمجال العلمي الذي ينتمي إليه هذا المخطوط.

وفي حال تعدد نسخ المخطوط، وبعد اعتماد النسخة الأم بالاستناد إلى شروط العلماء المحققين في هذا الاختيار، فإنه متى وقف المحقق على زيادة ليست في النسخة الأصل، وجب عليه التثبت من وثوقيتها ومن انتمائها إلى نص المخطوط، قبل إضافتها إلى المتن مع الإشارة في هامش التحقيق إلى صنيعه هذا، يقول د. مهدي فضل الله :«إذا رأى الطالب المحقق زيادة في إحدى النسخ(كنسخة ب مثلا)؛ لا توجد في النسخة:(أ) مثلا، المعتمدة من قبله كأساس للتحقيق؛ وتأكد ان هذه الزيادة هي من أصل النص، وليس من الناسخ، فإن عليه أن يضيف هذه الزيادة

[1] - مثل: تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان؛ وتاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين؛ و الدُّرّ الثمين في أسماء المصنفين لابن أنجب الساعي(ت 674هـ)، في جزأين، ضبطه وعلق عليه: د. أحمد شوقي بنبين ود. محمد سعيد حنشي؛ والفهرس في أخبار العلماء وما صنفوه من كتب لابن النديم؛ وفهرس الكتب المخطوطة في الحكمة، والمنطق، وآداب البحث، والمناظرة المحفوظة والوضع بالخزانة الحسنية بالرباط، لخالد زهري وعبد المجيد بوكاري؛ وفهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط لمحمد سعيد حنشي وعبد العالي المدبر؛ وفهرس الكتب المخطوطة في العقيدة الأشعرية بنفس الخزانة بالرباط، في جزأين، لخالد زهري وعبد المجيد بوكاري؛ وفهرس مخطوطات التصوف، في جزأين، بنفس الخزانة بالرباط، مراجعة وتقديم أحمد شوقي بنبين؛ وكشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون وذيوله: إيضاح المكنون، وهدية العارفين، لمصطفى بن عبد الله، حاجي خليفة؛ ومجلة المجمع العلمي العربي بالقاهرة؛ ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق؛ ومجلة مجمع الدراسات الشرقية بلينغراد؛ ومجلة معهد المخطوطات العربية لجامعة الدول العربية؛ ومركز سيد المختار الكنتي للمخطوطات العربية القديمة- قاوة- مالي؛ ومفتاح السعادة لطاشكبري زاده؛ ومعجم المخطوطات المطبوعة لصلاح الدين المنجد؛ ومعجم المصنفين للتونكي؛ ونشرة أخبار التراث الصادرة عن معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ وغيرها من فهارس المكتبات مما ذكره د. مهدي فضل الله، في كتابه: أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ينظر: ص 143 – 145.

إلى نسخة(أ)، ويذكر ذلك في الحاشية. وإذا لم يتأكد من ان هذه الزيادة هي من أصل المخطوط، فإن عليه أن يشير إلى ذلك في الحاشية، ويُثْبتها.»[1] .

أما ما يتعلق برسم النُّسَخِ، فبالإضافة إلى ضرورة العلم بالخُطُوطِ، فإنه يتعين معرفة طرق الكتابة عند القدماء، من نظير اختصاراتهم، إذ ينبغي الاحتراز في التعامل مع هذه المختصرات خشية الوقوع في الخطإ. فقد يعثر المحقق على كلمات مهموزة سُهِّلَتْ، كما في بعض نسخ مخطوط "الإنصاف في مشاجرة الأسلاف" لطاشكبري زاده، أو على اختصار: **(أسا)** ل: **(أخبرنا)**، فلا ينبغي الخلط فيها بين أخبرنا وأنبأنا، لعدم جواز اختصار الأخيرة بإجماع المحققين؛ ففي مثل هذه المسائل المتعلقة بالنّسْخ ينبغي إعادة كتابة المختصرات كاملة تامة خشية الاشتباه، أو الخطإ، أو الوهم.

3 . **من متعلقات قارئ التحقيق:**

قد يبدو إقحام هذا العنصر في صلب عملية التحقيق مستغربا، أو أمرا هامشيا، لكن النظر في جوهر عملية التحقيق يفضي إلى أهميته، وضرورة مراعاته.

ذلك أن قصد النَّفْعِ الْمَرْجُوّ من نشر المخطوط، وإذاعته بين الناس، مرهون بمعرفة الفئة المستهدفة بالتحقيق، ولحصول هذا النفع لابد من استحضار قارئ التحقيق خلال مجموعة من مراحله. ومن الأمور التي يجب على المحقق مراعاتها:

- مراعاة الفئة المستهدفة بمتن المخطوط حين التعليق، فنعلِّق بما يليق بها لغة، وإيضاحا، ودقة، وإيجازا.
- شَكْلُ الْمُشْكِلِ، أو ضبط متن المخطوط، هو بحسب المجال العلمي المؤلَّف فيه، وبحسب القارئ المقصود، فيكون تقدير المشْكِل وفق هذين الاعتبارين.
- إضاءة متن المخطوط بما يعوق الفهم، كالبيان بما لا وجود له في واقع القارئ، كأن يترجم المحقق لبلدة أو مكان قد ذكرا في متن المخطوط، فينقل عن معاجم البلدان والأماكن القديمة معلومات لا يستطيع قارئ

[1] - أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، د. مهدي فضل الله، ص 148.

التعليق إدراكها، بل لابد من إضاءة إضافية تعينه على التَّبَيُّنِ من المذكور. ولذلك وجدنا مركز أبو ظبي يصدر طبعة إماراتية جديدة لمعجم البلدان لياقوت، نقرأ فيها تحيينا لمعلوماته، وإن وُجِد من اعترض على اعتباره كتابا لياقوت لدخول التغيير عليه .

4 . **من متعلقات متن المخطوط** :

أ. **معرفة مصادر المعلومات المتعلقة بالمخطوط**:

مصادر المخطوط إما ورقية، وإما في صورة ميكروفيلم، أو نسخة رقمية مثبتة في إحدى مكتبات العالم من نظير السليمانية في تركيا، أو مرفوعة على أحد مواقع النت أو الويب (Net/Web) وقد يكون المخطوط منشورا مصوَّرا كأصْلِه، وهذا النوع من المؤلفات لا يخلو من أحد أمرين:

. نص مصوّر بمفرده.

. نص مصوَّر مصحوب بدراسة وتكشيف.

ب . اختيار المخطوط:

وتحكمه مجموعة معايير ذاتية وموضوعية، في مقدمتها تلبية الحاجة العلمية في مجال معرفي ما، ودرجة نفع المخطوط في الأُمَّة. وهذا يقتضي من المحقق فقه واقع التخصص من جهة، وفقه واقع التحقيق فيه. ومنها أيضا: التمام، والسلامة من العيوب، أو الجهل بالمؤلِّف والشك في نسبته، ومراعاة الزمن المقدّر للإنجاز ما يفيد شرط صغر حجم المخطوط أو طوله. ومنها معرفة حال المخطوط من تاريخ رحلته عبر العصور، هل تم تحقيقه من قبل أم لا، فإن حُقِّق ما قيمته العلمية في ميزان التحقيق. ومنها أيضا الفقه بعلم متن المخطوط، فلا يجوز لمن جهِل علما من العلوم الإسلامية أن يخوض في تحقيق متنه، لما قد يترتب عن جهله من أخطاء معرفية ترتبط بضبط متن النص المحقق، ولما يمكن أن يترتب عنه من غفلة الانتباه إلى جَلَلٍ، أو حذر في الفهم، أو قدرة على التأوّل للْمُصَحَّفِ أو الْمُحَرَّفِ، أو المخروم، أو على الترجيح.

ج . الأصل في المتن التحقيق لا التعليق:

لأجل ذلك لا ينبغي التكثير من الهوامش، أو الإطالة فيها، لغير ضرورة، حتى لا نجعل من الكتاب المحقق كتابين، أصل وحاشية عليه، ثم إن منهجية الهوامش عند العلماء المحققين المدققين مبنية على التقليل والإيجاز، التقليل من عددها، والإيجاز في مادتها.

د . البدء بالأوَّل:

فمن توخي العلمية، والتنظيم في تحقيق النفع، وتلبية الحاجة العلمية، البدء بالكتاب المخطوط الأول، سواء تعلق ذلك بتراث المؤلف الواحد، أو بتراث الأمة، تعاقبيا أو تزامنيا، وإن كان مثل هذا المطلب مرهونا بمعرفة تواريخ تأليف الكتب .وإنما اعتبر هذا الشرط لما يتيحه الإنجاز في ذا الباب من إحاطة بتطور التأليف من جهة، وتطور العلوم من جهة أخرى.

هـ . متن المخطوط مقدس:

فلا يجوز التدخل خلاله، بغير ضبطه، وترتيب فقراته، وتوزيع سواد مداده في بياض الورق، إلا إذا ثبت يقينا الخطأ في متنه مما يُحسب على التصحيف، أو التحريف، أو الخطأ في النَّسْخ أو الرسم الذي لا يُتَّهم به ناسخ.

ولابد- حين التدخل بتغيير المتن- من مراعاة زمن تأليف المخطوط لغة ومعلومة، حتى لا نُقَوِّلَ عصرا، أو مؤلِّفا، ما لم يَقُلْهُ؛ وعدم الإسراع إلى تقدير المصحَّف أو المحرَّف أو ما أشبه، إلا بعد القراءة الدقيقة والمتكررة للمخطوط، وبعد الرجوع إلى المعاجم طلبا للبدائل اللفظية المحتملة، مثل قول أحدهم: « وهذه الأدلة تتعلق ببحور لا تنكر من قضايا أصول الفقه»، أَوَّلَها بعضهم فقال: « ببحور لا تكسر»،كأنها بحور عروضية؛ والمعنى الصواب والأليق بالجملة هو: « لا تَنْكِزُ» بالزاي لأنها بمعنى لا يقل ماؤها من قولهم: نَكِزَتِ البئرُ: قلَّ ماؤها ونَفَدَ .

ومما يدخل في عدم التحَيُّز حين التحقيق إثبات ألفاظه كما هي وإن خالفت بعض الأعراف، أو خالفت الشرع، كألفاظ العورات، وما أشبه، فلا يجوز حذفها أو تعويضها بنقاط الحذف .كما هو في الموشح مثلا أو في غيره.

وأما إدخال التبويب والتفصيل في متن المخطوط، بوضعه بين معقوفتين في المتن، والتنبيه على زيادته في الهامش، ففيه تعدٍّ على حرمة المخطوط، والأليق به إثباته في عمل المحقق في فهرس المحتويات تسهيلا لوصول القارئ إلى مسائل الكتاب المخطوط.

و. تضافر العلم بالتخفيف والعلم بالتخصص العلمي للمتن:

فإذا افتقد المحقق فِقْهَ موضوع المتن لانعدام الأهلية العلمية فيه، احتاج إلى مُعين مختص على جهة الاستصحاب، تحقيقا للعلمية في الإنجاز.

ز. أصول التحقيق ثابتة والآليات متحولة:

إن التآليف -لاشك- يمتاز بعضها من بعض، ما يقتضي حين التحقيق التفاوت، والاختلاف، في تطبيق المناهج، فقد يستدعي المخطوط المنهج اللائق به، لكن مع احترام الأصول العامة الثابتة والمشتركة في كل التحقيقات العلمية. فمثلا تخريج الأحاديث في كتب الأدب، ليس هو عينه في كتب الحديث أو ما أشبه من علوم إسلامية.

ح . غاية تأليف متن المخطوط :

إن مما يستوجب مراعاته حيث التحقيق . على جهة الضرورة . غاية المؤلِّف من كتابه، فإن كان . مثلا . اختصار مطوَّل، فلا يليق بالمحقق في تعليقاته في الهوامش أن يُحشِّيه بالتفصيل، لأن من شأن هذا الصنيع هَدْمُ القصد الذي من أجله ألِّف الكتاب ابتداءً.

2. **من متعلقات التعليق:**

أ . الإيجاز:

مجال الهوامش هو التعليق وليس كتابة الحواشي- الكتب، لذلك يشترط فيها الإيجاز، فيكفي في بيان المسائل المُعلَّق عليها الإشارة والتلميح، وإثبات بعض أهم المصادر أو المراجع التي عُنيت بتلك المسائل، فقد أجمع العلماء المحققين على أن التحقيق ليس تأليفا لكتب، والتعليق بإسهاب في الشرح، أو في التاريخ حين الترجمة، أو في بيان المواقف والمذاهب المختلفة في مسائل العلم في المخطوط، أو

تتبع الشعر في المصادر المتعدّدة مع وجود الديوان، وعرض مختلِف رواياته، وما أشبه ذلك من خطوات التعليق هو ضرب من التأليف يشوّش على متن الكتاب المخطوط، وينزع عنه الأهمية حين القراءة لحساب التعليق، وهذا ليس من غايات التحقيق ومقاصده.

ب . الشرح والترجمة :

الشرح إضاءة وبيان، لذلك لا يصح شرح الواضح، بل المطلوب الغريب المُشْكِلُ، ومثل ذلك في الترجمة، فلا يترجم لمشهور، أو مما يُعلم بالضرورة في مثل مجال علم متن المخطوط من العلوم والمعارف الإسلامية.

وسواء تعلق الأمر بالشرح أو بالترجمة، فإنهما لا يكونان إلا من مظان الكتب الخاصة بالمعاجم اللغوية والاصطلاحية، وكتب الطبقات والرجال .

ج . ما خُرِّج أولا لا يُعاد تخريجه إذا تكرر.

د . التعليل للترجيح، عند اختيار البدائل، حين التَّصْحيفِ، أو التَّحْريفِ، أو التَّأَوُّلِ للمخروم والساقط.

هـ . الحذر من الاكتفاء بمعجم أو اثنين، حين تقدير لفظة غير بَيِّنَةٍ في المخطوط، فقد يَعْدَمُ المحقِّق الإشارة إلى ما يليق باللفظة المطلوبة إذا ما اقتصر على البعض دون البقية، فربما وقع له وَهْمٌ، وَأَخْطَأَ التَّقْديرَ لعدم استقصائه المكتوب في المعاجم.

ثالثا: من ضرورات ثقافة المحقق (تحقيق المخطوط الأدبي أنموذجا).

1 . ما يُثْقَفُ من العلوم بالضرورة :

سبق فيما ذكرت الإشارة إلى ضرورة فقه المحقق بالعلم موضوع متن المخطوط وأهمية ذلك في تحقيق العلمية المرجوة من إخراج النصوص التراثية، ولعل من آكد هذه المعارف/ الأدوات علم العروض في مجال تحقيق كتب الأدب خاصة، وكتب باقي العلوم عامة، إذ لا يكاد يخلو كتاب تراثي من أبيات من الشعر على جهة الاستشهاد، أو على جهة التَّمثُّل.

إن لمعرفة العروض، والإحاطة بدقائقه، من الأثر الكبير في تبيُّن المحرَّف في المخطوط، أو الخطأ في تحقيق المحققين . ومنهم المشهورون في عالم التحقيق . ما يستوجب ضرورة العلم به لتجاوز مثل هذه المشكلات أو الهفوات.

ففي كتاب " الشعر والشعراء" لابن قتيبة بتحقيق أحمد محمد شاكر نقرأ الآتي[1]:

" وما يستجاب له [عدي بن زيد العبادي] قوله في وصف السُّقاةِ:

والرَّبْرَبُ المكْفُوفُ أوْدانُه يَمْشِي رُوَيْداً كَمَشْيِ الرَّهِيصْ"

ونقرأ في هامش التحقيق: « الربرب: القطيع من بقر الوحش، أو من الظباء، ولا واحد له، الرهيص: الدّابَّةُ يُشْدَخُ باطنُ حافرها بِحَجَرٍ ونَحْوِه فأَدْواهُ » أي فجعله لا يستطيع المشْيَ بسهولة.

فالمثبت في نص التحقيق لفظ « رويداً » والمكتوب في نسخة المخطوط لفظة « رويداءَ ». وإثبات المحقق الكلمة بهذا الشكل أوقعه في فساد الوزن، بأن كَسَر إيقاع السريع الذي نظم به البيت: (مستفعلن مستفعلن مفعولن ×2)، وإن صَحَّ له المعنى[2].

فنحن أمام عروض مطوية مكسوفة، وضرب مطوي موقوف (مَفْعُولْ). والرُّوَيْداءُ مُفْرَدَةٌ مُثْبَتَةٌ في "أساس البلاغة" و في "القاموس المحيط"، حيث نقرأ في الأساس- مثلا -: « ما في أَمْرِهِ هُوَيْداءُ وَلَا رُوَيْداء»[3].

---

[1] - الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 231/1. والمكفوف: المشَمِّر، والأردان ج. رُدْنٍ، وهو الكُمُّ، الرَّهِيصُ: الدّابّةُ التي أُصيبَتْ في ظلْفها فلا تستطيع المشي بسهولة.

[2] - ينظر: كيف نقرأ النص التراثي؟ وبيان أثر العروض في ضبطه وتحقيقه، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص 40 - 41.

[3] - أساس البلاغة، الزمخشري، مادة: «رود»، وينظر القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مادة: «الرود»، وفيها:« وامْشِ على رُودٍ، بالضم، أي: مَهْلٍ، وتَصْغيرُهُ: رُوَيْدٌ. وقد أرْوَدَ إرْواداً ومُرْوَداً ومَرْوَداً ورُوَيْداً ورُوَيْداءَ ورُوَيْدِيَةً: رَفَقَ.».

وفي كتاب "شرح شفاءِ العِلَل في نظْمِ الزحافات والعِلَل " لقاسم بن محمد البَكَرْجي (ت 1169هـ)، نقرأ قول الناظم:

وأَزْكَى صلاةِ الله ثم سَلامُهُ على مَنْ به كُرَبُ الْمُصَلِّينَ تَنْكَشِفْ

وعلَّق عليه محقق الكتاب د. أحمد عفيفي بقوله: « في المخطوط (ينكشف) وهو تصحيف!!»، ولذلك غير كلمة (كَرْبٍ) في المخطوط إلى (كُرَب) وكلمة (ينكشف) إلى (تَنْكشف) حتى يتحقق له التناسب بين الكلمتين، لكنه لم ينتبه إلى أنه بتعديه على المتن، والعبث بألفاظه دون تمحيص، قد أفسد وزن البيت الذي هو من الطويل، فانْكَسَرَ عند لفظة (كُرب) المحرَّكة[1].

خاتمة:

إن التحقيق صناعة تقتضي العلم بأصول التحقيق وقواعده، والمهارة في تنزيل هذه الأصول والقواعد على المخطوط، كما تستوجب الممارسة والدربة من أجل استكمال الملكة والخبرة بالمجال. ولابد من شيوخ تؤخذ عنهم هذه الصناعة، ويستحسن أن يكون أكثر من شيخ حتى يتسع الإدراك، وتتفتَّق المهارة والتجربة.وليست هذه الضرورات المذكورة، وغيرها مما لم نذكره، سوى مظهر من مظاهر التّعلُّقِ بالشيخ والصناعة؛ كما أنها خطوات وأدوات من شأنها النهوض بالباحث المحقق المبتدئ ليتسنى له ولوج هذا العالم من الباب الصحيح والسليم إلى إنجاز السالم والسديد من أعمال في علم التحقيق في مختلف علوم المخطوط.

المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر(ت538هـ)، تحقيق: ذ. محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ – 1998م.

[1] - ينظر: كيف نقرأ النص التراثي؟ وبيان أثر العروض في ضبطه وتحقيقه، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص 44 - 45.

- أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، د. مهدي فضل الله، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1998م.
- شرح شفاءِ العِلَل في نظْمِ الزحافات والعِلَل، قاسم بن محمد البَكَرْجي (ت1169هـ)،
- علم الاكتناه العربي الإسلامي، د. قاسم السامرائي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ – 2001م.
- القاموس المحيط، الفيروزأبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب (ت817هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1403هـ – 1983م.
- كيف نقرأ النص التراثي؟ وبيان أثر العروض في ضبطه وتحقيقه، د. محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1430هـ – 2009م.

أهمية توثيق نسبة النصوص وأثره في بناء الدراسة
جهود الأديب المحقق: محمد حسن شراب أنموذجا

د. مصطفى الزكاف
كلية الآداب، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان

تمهيد: بيان ألفاظ العنوان.

- التوثيق لغة واصطلاحا:

التوثيق لغة:

التوثيق مصدر الفعل وثق الرباعي على وزن فعل وثق يوثق توثيقا، ومدار مادته كما يقول ابن فارس على العقد والإحكام،. وَوَثَّقْتُ الشَّيْءَ: أَحْكَمْتُهُ (...) وَالْمِيثَاقُ: الْعَهْدُ الْمُحْكَمُ[1]، وَإِنَّهُ لموثَّق الخلْقِ، أَي: مُحْكَمُه. و الوثيقة في الأمر: إحكامه و الأخذ بالثقة، و الجمع وثائق[2].

وقيد المصطفوي في تحقيقه أنّ الأصل في المادّة: هو ائتمان في إحكام. ومنه قوله تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ وَ لا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ[89/ 26] أي فاجعلوا الحالة الحاصلة من الإيثاق شديدة و مورد ائتمان و إحكام[3].

التوثيق اصطلاحا:

مصطلح **التوثيق** تعاورته عدة علوم، وتناوبت استعماله عدة مجالات وحصل فيه تطور أفقي وعمودي يحتاج الى تتبع دقيق للوقوف على جميع استعمالاته، لكنها بإجمال كما يلي:

---

[1] - ينظر مقاييس اللغة (وثق).

[2] - ينظر: العين القاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس مادة (وثق).

[3] - التحقيق في كلمات القرآن (وثق).

- فإذا استعمل التوثيق في مجال الحديث الشريف فهو يعني: بالضبط ما يتناوله علم الجرح والتعديل في مجال رواية الحديث من حيث ضبط إسناده وكلماته وطريقة نقله.
- وإذا ذكر التوثيق في مجال الدواوين الادارية فيعني: حفظ الوثائق والرسائل والمعلومات والإحصاءات وتبويبها وتنظيمها بحيث يسهل الرجوع إليها والاستفادة منها.
- وإذا ورد في سياق تحقيق المخطوطات فهو يعني: استعمال ضوابط لتوثيق النصوص المخطوطة ويتم ذلك على مرحلتين:

1-توثيق عنوان المخطوط ونسبته الى صاحبه.

2-وتوثيق متن الكتاب توثيقا يكاد يقترب من نسخة المؤلف الأصلية[1].

وإذا اقترن التوثيق بالتاريخ فهو يعني: البحث الدقيق في المصادر التاريخية لاستخلاص الواقعة من شواهد وأدلة موثوق بها حتى يكون التاريخ صورة حقيقية للواقع التي يتناولها، وهو الأنسب في سياق هذا العرض.

وأما مفهوم (**توثيق نسبة النصوص**) مركبا في هذا البحث فيراد به: **بذل الجهد باعتماد الضوابط العلمية لتحقيق نسبة النصوص إلى أصحابها، سواء كانت كتبا كاملة أو بعض ما نقل فيها.**

ويقصد بـ (**جهود الأديب المحقق: محمد حسن شراب**) ما بذله هذا العَلَم من جهود في سبيل توثيق نصوص التراث، وخاصة الأدبية والتاريخية منها، كتباً متخصصة أو مقالات أو مشاريع بحثية حملها هما ممضا طوال حياته.

المبحث الأول: توثيق نسبة النصوص: دوافعه القول فيه وأهميته في بناء الدراسة.

المطلب الأول: دوافع القول فيه:

المتابع لمسيرة تحقيق التراث يفرح لكثير مما يجد من عوائده في نهضة الأمـــة،

[1] - ينظر في بعض هذه الاطلاقات: معجم مصطلحات المخطوط العربي ص: 103.

لكنه في بعض الأحيان تخبو هذه الفرحة لما يوجد بين ثناياه مما يقوض معالمه: من عدم توثيق النصوص، ونسبتها الى غير أصحابها، فتبنى الدراسة على شفا جرف هار، فلذا جاء هذا القول في هذا البحث نتيجة للوقوف على كثير من الأسباب تمثلت فيما يلي:

- عدم الالتفات إلى هذا الجانب في تحقيق النصوص؛ إذ غالبا ما يقتصر الأمر على نقل ما في النسخة المرشحة للاعتماد في التحقيق، دون فحص النص الداخلي فحصا توثيقيا للتثبت من كل النص منسوبا الى صاحبه، والنموذج المعلَم في هذا كتاب: العقد[1] لابن عبد ربه، فقد نشر الكتاب منسوبا كل ما فيه الى ابن عبد ربه، لكن عند البحث والتدقيق تبين أنه يتضمن نصوصا لوقائع حصلت بعد وفاة ابن عبد ربه[2]، مما دفع البعض الى إنكار نسبة الكتاب الى الرجل.
- حاجة هذا الأمر إلى تكوين مَهَرة متخصصين، متمكنين من آليات النقد العلمي الصحيح لسانا وتاريخا، قادرين على تبيُّن الأمور صحيحها من ضعيفها ومنحولها من ثابتها.
- ضرورة جعل هذا الأمر شرطا من شروط التحقيق؛ إذ لايبنى الدرس والاستنتاج إلا على ما ثبت حقا، أما ما بني على باطل فهو باطل. فكثير من الدواوين نسبت الى غير أصحابها، فقامت الدراسة عليها فكانت ضربا من الخرص، زُور فيها الأدب والتاريخ معا.
- انتشار ظاهرة الدس على العلماء، من قبل من لا يوافقهم في الطائفة أو المذهب.

---

[1] - وهذه من قضايا توثيق عنوان الكتاب. لكنه اشتهر بالعقد الفريد، اسمه (العقد)

[2] - ينظر مصداق ذلك في كتاب: ابن عبد ربه وعقده لجبرائيل جبور فقد ذكر فيه صاحب الدراسة امثلة على ذلك ووصى بإعادة تحقيق الكتاب محذوفة منه النصوص الملحقة هذه ليسلم الكتاب لصاحبه كاملا. وهو ما لم يحصل الى يومنا هذا.

وهذه بلية ابتليت بها الامة فرمي بها كثير من العلماء فهذا الشيخ عبد الوهاب الشعراني كثيرا ما أصابه هذا الابتلاء، وطالما اشتكى في مقدمات كتبه من هذه البلية يقول في مقدمة كتابه لطائف المنن والأخلاق: (ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ، صبري على الحسدة والأعداء، لما دسوا في كتبي كلاماً يخالف ظاهر الشريعة، وصاروا يستفتون عليَّ زوراً وبهتاناً، ومكاتبتهم فيَّ لِبابِ السلطان، ونحو ذلك.

ثم إني لما صنفت كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود، وكتب عليه علماء المذاهب الأربعة بمصر، وتسارع الناس لكتابته، فكتبوا منه نحو أربعين نسخة، غار من ذلك الحسدةُ، فاحتالوا على بعض المغفلين من أصحابي، واستعاروا منه نسخته، وكتبوا لهم منها بعض كراريس، ودسوا فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لإجماع المسلمين، وحكايات وسخريات عن جحا، وابن الراوندي، وسبكوا ذلك في غضون الكتاب في مواضع كثيرة، حتى كأنهم المؤلف، ثم أخذوا تلك الكراريس، وأرسلوها إلى سوق الكتبِيّين في يوم السوق، وهو مجمع طلبة العلم، فنظروا في تلك الكراريس، ورأوا اسمي عليها، فاشتراها من لا يخشى الله تعالى، ثم دار بها على علماء جامع الأزهر، ممن كان كتب على الكتاب ومن لم يكتب، فأوقع ذلك فتنة كبيرة، ومكث الناس يلوثون بي في المساجد والأسواق وبيوت الأمراء نحو سنة، وأنا لا أشعر) [1].

وقال أيضاً: في كتاب اليواقيت والجواهر (وكذلك دسوا عليَّ أنا في كتابي المسمى بالبحر المورود جملةً من العقائد الزائغة، وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين، وأنا بريء منها كما بَيَّنْتُ في خطبة الكتاب لمَّا غيرتها، وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه، فما سكنت الفتنة حتى أرسلت إليهم النسخة التي عليها خطوطهم) [2]

[1] - لطائف المنن والأخلاق للشعراني 191.190/2.

[2] - اليواقيت والجواهر 8/1.

و قال في مقدمة كتابه: الأنوار القدسية: (فإياك أن تصغي لقولهم .. فإني بريء من جميع ما دسوه و بيني و بينهم يوم القيامة)[1] .

وقد ذكر المؤرخ الكبير عبد الحي بن العماد الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه شذرات الذهب في أخبار من ذهب ترجمة الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى وبعد أن أثنى عليه، وذكر مؤلفاته الكثيرة، وأثنى عليها أيضاً قال فيه: (وحسده طوائف فدسوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشرع، وعقائد زائغة، ومسائل تخالف الإجماع، وأقاموا عليه القيامة، وشنَّعوا وسبُّوا، ورموه بكل عظيمة، فخذلهم الله، وأظهره الله عليهم وكان مواظباً على السنة، ومبالغاً في الورع) [2].

- نشر كثير من الكتب الأصول والدواوين الشعرية، دون نقد وتمحيص، مما أحدث اضطرابا واختلالا في قراءة تاريخ الفن الذي يصنف فيه. وسيأتي في المبحث الثاني نماذج من جهود الرجل في تبيان ذلك.

المطلب الثاني: أهمية توثيق نسبة النصوص.

النصوص ليست معزولة عن الواقع، ولم ترد في فراغ، ولم تنبت في خيال إنما هي أمور مرتبطة بالواقع تاريخا وأرضا، تنبت في بيئتها بأعلامها وأقوالها وخطوطها، فإذا زورت النصوص أو نسبت لغير واقعها حصل افتراء وبهتان لامحالة، ثم يبنى التاريخ على زور، وتستخلص النتائج بالخرص وتصدر الاحكام على الرجم بالغيب، فلذا كان لابد من التوثيق للسلامة من ذلك، وتتجلى أهميته في أمور أهمها:

- أول شروط العلمية صحة نسبة النصوص، فالعلم نقل محقق أو عقل مصدق. فإذا لم يوثق فقد انتفى شرط العلمية.
- هدفها هو إعداد النصوص إعدادا علميا، يصلح لأن يبنى عليها باطمئنان.
- بناء تاريخ الأمة العلمي بناء صحيحا، وعدم الإسهام في زيادة تراكم الأوهام.

---

[1] - الأنوار القدسية ص 18.

[2] - "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لعبد الحي الحنبلي 374/8.

- ضبط الأحكام في علاقاتها المختلفة بالقائل والسامع والمصر، وصحة التصور للأمور زمانا ومكانا وإنسانا وتاريخا وواقعا.
- بناء قاعدة متينة من اجل انجاز المعجم التاريخي للغة العربية بجميع مستوياته.

وينبني على هذا التوثيق أثر عظيم في بناء دراسة يتجلى فيما يلي:

- التبين الصحيح بعد التثبت الصحيح (يقينا عادية التهور) وذلك من خلال:
  - سلامة الأحكام.
  - واستخلاص النتائج الصحيحة بدل الأوهام.
- بناء تاريخ العلوم تاريخا صحيحا (يوقفنا على داعية التطور) وذلك بـ
  - تبين مكامن الإبداع، والوقوف على مراحل تطور الأفكار بحق.
  - عدم الوقوع في معضلة تعارض الأفكار أو تناقضها عند المصنف الواحد.

المبحث الثاني: جهود الأديب المحقق: محمد حسن شراب في توثيق نسبة النصوص.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ شراب[1]. رحمه الله.

1- **اسمه:** محمد بن محمد بن حسن شُرَّاب، بضم الشين وتشديد الراء على وزن " فُعَّال" جمع شارب مثل: كاتب وكتَّاب أو "فُعَّال" من صيغ المبالغة، ومنه قوله تعالى: ﴿ومكروا مكرا كبارا﴾.

2- **مولده:** وُلد رحمه الله في مدينة " خان يونس" في قطاع غزة سنة 1928 م في جنوب فلسطين، وأصل البلدة " خان" بمعنى: الفندق، أو النُّزُل، بناه وزير السلطان برقوق " يونس" فأضيف إليه.

3- **تعلمه ورحلته:** تعلم في خان يونس، وفي سنة 1954 م، ارتحل إلى الأزهر في القاهرة، أمضى فيه أربع سنوات، سمع خلالها من عدد من أعلام الأدب،

[1] - هذه ترجمة مقتبسة من تعريف بنفسه كتبه بخط يده، وسلمني نسخة منه، فلذا حرصت على ذكر بعض الأمور مفصلة لأنها لم تنشر من قبل.

بمعناه الواسع: فسمع من طه حسين، وعباس العقاد، ومحمد أبو زهرة، وسيد قطب، وأحمد الشرباصي، والبشير الإبراهيمي، وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ومحمد حسن الباقوري، ومحمد الغزالي، وغيرهم.وفي سنة 1958 م سنة انعقاد الوحدة بين مصر وسورية، ارتحل إلى دمشق، والتحق بكلية الآداب من جامعة دمشق وتخرج سنة 1963 م في قسم اللغة العربية، وحصل على دبلوم التربية وطرق التدريس من كلية التربية في جامعة دمشق سنة 1964، سمع خلال الدراسة من الشيخ سعيد الأفغاني شيخ العربية في زمانه، والدكتور شكري فيصل، وهو إمام في الأدب والنقد، والدكتور صبحي الصالح اللبناني الطرابسلي، كان أستاذا في علوم القرآن والحديث، والدكتور عمر فروخ شيخ المؤرخين، والشيخ محمد المبارك، وأخيه الدكتور مازن المبارك، وهما من علماء اللغة وفقهها، وسمع من الشيخ الدكتور مصطفى السباعي، والشيخ مصطفى الزرقا، وأخذ أساليب التدريس من الدكتور شاكر الفحام، كما سمعت من الدكتور عبد الكريم اليافي، والدكتور أمجد الطرابلسي، وغيرهم.

4- وفي سنة 1964 م انتقل إلى السعوديَّة للعمل في وزارة المعارف، وكانت البداية في مدينة حائل، حيث أمضى بها سنة، تبعتها أربع سنوات في مدينة الدمام، ثم انتقل إلى الجوار النبوي في المدينة النبويَّة[1]، فأمضى في المدينة خمسا وعشرين سنة، كتب فيها أجمل مؤلفاته، وأودع المكتبة ذخيرة أدبية كانت للأمة نفعاً وخيراً.

5- وفي سنة 1994 م أنهى عقْد العمل في السعودية، وقرر العودة إلى بلاد الشام فاختار دمشق دار إقامة، إذ لم يُقدر له الله العودة إلى خان يونس.وكانت بلدة داريّا من ريف دمشق ملجأ له، فاتخذ بيتا فيها منذ سنة 1985 م الى وفاته رحمه الله.

[1] - يحرص الشيخ على نعت المدينة بالنبوية، وليس المنورة، لأن الأخير أطلق في عصر متأخر، وغطى على الأصل الذي أراد أن يشيعه في الناس من جديد.

6- **وفاته:** توفي رحمه الله في دمشق يوم الخميس الموافق 31 / 10 / 2013م. **ونشهد أنه عاش مجاهدا، رضي بعيش الكفاف، ولم يرض أن يبيع حرفا واحدا يسهم في بناء مجد زائف، وقد عرض عليه ما عرض، لايتحدث إلا في قضايا الأمة الكبرى،** ويشتد به الأمر فيرفع صوته الجهوري عاليا، لعله ينفذ إلى أبناء الأمة الرساليين في كل مكان، فيدركوا خطورة الواقع، وينتبهوا إلى قضاياهم المصيرية، وما فلسطين- وهي روحه وأمله- إلا سفود غرز في جسم الأمة لعلها تستيقظ من جديد لتتبوأ المنزلة الذي أرادها الله. أسكنه الله الفردوس الأعلى.

7- **آثاره: أما الآثار**، فإنها تجمع ما يسمى "التاريخ"، وما يسمى "اللغة والنحو"، وغلب عليها " النقد التاريخي للنصوص"، والتاريخ عنده كما في مفهوم العامة: "فلان ضرب وفلان هرب" كما شاع في كتب التاريخ القديمة، وكما شاع في المناهج المدرسية والجامعيّة، والتاريخ عنده أيضا ليس تاريخ السلاطين وما دار بين الناس من الحروب، فهذا جانب صغير منه. **فالتاريخ عنده: هو الحياة التي عاشها الإنسان: في السياسة والاقتصاد والعلوم والفنون القولية والعمرانية،** ويحب أن يُجمع ما كتبه تحت عنوان "الأدب"، بمعناه الواسع والأدب بمعناه الواسع: **كلُّ ما أنتجه الإنسان، وكل ما تأثر به الإنسان.**

وهذه قائمة بالآثار مرتبة حسب صدورها زمنيا:

- المدينة (المنورة) في العصر الأموي دار التراث- المدينة النبوية. 1984.
- أخبار الوادي المبارك (العقيق). دار التراث- المدينة النبوية.1985.
- معجم بلدان فلسطين دار المأمون للتراث دمشق 1988.
- معجم الشوارد النحويَّة والفوائد اللغوية. دار المأمون للتراث 1990.
- تميم الداري راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين. دار القلم دمشق 1990.
- المعالم الأثيرة في السُّنة والسيرة. دار القلم دمشق1991.

- الإمام محمد بن شهاب الزهري. دار القلم دمشق 1993.
- في أصول التاريخ العربي والإسلامي. دار القلم دمشق 1993.
- بيت المقدس والمسجد الأقصى. دار القلم دمشق 1994.
- أبو عبيدة بن الجراح. دار القلم دمشق.
- عز الدين القسام. دار القلم دمشق.
- المدينة النبويَّة فجر الإسلام والعصر الراشدي. دار القلم دمشق 1994.
- أسماء المدن والقرى الفلسطينية وتفسير معانيها الدار الأهلية الأردن.
- القول المبين في تاريخ القدس وفلسطين. مؤسسة فلسطين الثقافية دمشق.
- قضية ولا صلاح الدين لها دار السقا داريا دمشق.
- العرب واليهود في التاريخ. دار السقا داريا دمشق.
- الحديث النبوي مصدراً للتشريع. دار السقا داريا دمشق.
- أنساب أهل فلسطين (الحمايل[1] والقبائل والعشائر) الدار الأهلية الأردن.
- معجم العشائر الفلسطينية الحمايل والعشائر والعائلات والقبائل الفلسطينية و أعلام رجالاتها في الأدب و الجهاد و السياسة الدار الأهلية الأردن 2002.
- موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، الدار الأهلية عمان 2003.
- تاريخ الكتابة وتدوين العلم، دار النوادر دمشق. 2005.
- شعراء فلسطين: الدار الأهلية، عمان 2005م.
- شعراء من المملكة العربية السعودية، دار المأمون ودار قتيبة دمشق 2006.

[1] - مصطلح يستعمل في فلسطين في معرفة الأنساب، وأصله من حمل، ويستعملون مفرده حمولة، وهو إما من حمل الدية فكل يحمل الدية عن الآخر، أو الكفالة لأن القبيلة تكفل كل واحد من أفرادها. ينظر مقدمة المعجم ففيه البيان.

- حسان بن ثابت: شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم: سيد الشعراء المؤمنين المؤيد بروح القدس: دراسة نقدية موطئة لتوثيق ديوان الشاعر دار النوادر دمشق 2007.
- الرأي المستجاد في قصة بانت سعاد: دراسة أدبية تاريخية تأصيلية لقصيدة بانت سعاد دار النوادر دمشق 2007م.
- الأخبار التوراتيّة اليهوديّة خرافات تكدّر ينبوع التراث الإسلامي مؤسسة فلسطين للثقافة دمشق 2011م .

المطلب الثاني: جهوده في توثيق نسبة النصوص.

قضى الرجل حياته مستوفزا متيقظا، يتحسس الأخطار التي تحدق بأمته، يرصدها ويعجم عودها ثم يصنفها ثم يتصدى لأخطرها أثرا وأشدها فتكا، وكثيرا ما ينحو باللائمة على أبناء أمته الذين يسمعون وينشرون دون أن يستوثقوا فكان (من المعايب التي تحيط بنشر التراث في أيامنا، أن الناشرين والمحققين لايقومون بالدراسة المتأنية لنصوص الكتاب، ولا يلوحون او يلمحون بما فيها من ضعف أو صحة، وكان حق هذه الكتب أن ينشر بعد دراسة علمية متأنية، يتفرغ لها عدد من العلماء القادرين على دراسة النصوص سندا ومتنا) [1] .

ويمكن تقسيم جهوده في النقد والتوثيق الى صنفين:

أولا: جهوده في توثيق نسبة النصوص الأدبية.

أ- **توثيق دواوين الشعراء.**

يمثل الشعر صورة صادقة للواقع التي قيلت فيه، وتمثل دواوين الشعر ذاكرة الأمة اللغوية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والدينية، وهي ترقى أحيانا لمستوى الوثائق التاريخية التي تسجل القضايا فيها من جميع جوانبها مجتمعية ونفسية وشعورية وأخلاقية، فإن لم يكن الديوان موثقا توثيقا حقيقيا كان الكذب هو المستبد بالأمر، فلذلك كان من مشاريعه توثيق الدواوين وخاصة

[1] - في أصول التاريخ العربي الاسلامي ص 176.

الاصلية التي تمثل صورة الاسلام الأولى في الجزيرة العربية كما سيتجلى من خلال الدواوين التي وثقها.

1- **مشروعه لتوثيق ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه**، كان من ديدنه في أحاديثه أنه يريد أن يوثق الدوواين التي تعد مصادر للسيرة النبوية، أو لها علاقة بجانب من جوانبها، وكان كتابه المعنون بـ (حسان بن ثابت: شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم: سيد الشعراء المؤمنين المؤيد بروح القدس: دراسة نقدية موطئة لتوثيق ديوان الشاعر) نموذجاً لهذا المشروع الذي يحمل همه، وهو التوثيق الشامل للنصوص الأولى؛ لأن ما بعدها ينبني عليها، واهتم بحسان لأن توثيق ديوانه أخطر وأولى لما له من اتصل وثيق بالسيرة النبوية، فأي شعر نسب إليه وسلم ولم يوثق ستكون آثاره وخيمة في الأحكام التي ستنبني عليه، فلذا جعل معيار توثيق الديوان دائرا على ثلاثة أصول:

- **الرواية الصحيحة**. حيث يقول:(واعتمدنا معيار الرواية لتوثيق شعر حسان، فإن وافق مضمون القصيدة التاريخي ما حكته الروايات الصحيحة والحسنة قبلنا النص وإن خالفها ضربنا به عرض الحائط، والكذاب عندنا ليس حسان، وإنما هو الراوي الذي كذب على حسان) [1].

- **ومطابقة الكلام لمقتضى حال الجغرافية الأثرية**، ويقصد به(أن يكون العلم المكاني المذكور في الشعر موجودا يوم قول الشعر.

ففي قصيدة في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم قال:

قِفاراً سوى معمورة اللحد ضامنَها*** فقيدٌ يُبكِّيه بلاطٌ وغرقدُ

فقوله (بلاط) البلاط في تاريخ المدينة: فسحة أمام المسجد النبوي فرشت بالحجارة.

[1] - حسان بن ثابت ص: 8- 9.

والمشهور تاريخيا أن ما سمي بالبلاط لم يكن موجودا في العهد النبوي وإنما أحدث أيام ولاية مروان بن الحكم على المدينة بعد سنة أربعين من الهجرة فهذه اللفظة تدل على أن البيت منحول، وصانعه ناظم قد عاش في العصر الأموي) [1]

- **معيار صدق الشاعر في التعبير عن حاله الوجدانية**، (فقد كتب الله لحسان بن ثابت أن يكون الرسول عليه السلام وأن يستثنى من الشعراء المذمومين الذين يهيمون في أودية الضلال لأنه انتصر لرسول الله ودافع عنه بلسانه) [2] فتميز شعره بحرارة الصدق في نصرته ودفاعه، تقرأ القصائد التي رويت عنه بسند صحيح فترى قلب حسان وهو ينبض بالحب ويرتقي ويرتقي حتى يبلغ درجة عالية من الإبداع الفني.

2- توثيق ديوان الشعر المنسوب لعلي بن أبي طالب، في مقاله المخطوط: (**شِعْرٌ لم يَقُلْه عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه)** حيث درس الشعر المنسوب إليه دراسة نقدية تاريخية، وخلص إلى أنه لم يثبت لعلي رضي الله عنه إلا الرجز الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، قوله لمرحب ملك خيبر:

أنا الذي سمتني أُمّي حَيْدَرَهْ *** كَلَيثِ غاباتٍ كَريه الْمَنظَرَه.

وهو رَجَزٌ مشهور [3].

والسبب في نقده للديوان أن عليا رضي الله عنه غلت فيه طائفة فنسبت إليه كتبا وشعرا كثيرا بل وعلوما فتصدى الشيخ رحمه الله؛ معتمدا على مصادر أصلية نفت عنه الشعر المنسوب إليه، معللا ذلك أنه **(لم يثبت عندهم نسبة هذا الشعر للإمام علي ونظروا في هذا الشعر فوجدوه مهلهل النسج ركيك الألفاظ، ووجدوا معاني بعيدة عن خصائص العصر الذي ينتمي إليه الشاعر، بل لا تليق نسبتها إلى صحابي فقيه عالم مجاهد، تربَّى في بيت النبوَّة، فهؤلاء الذين وضعوا شعر الإمام علي، ونحلوه له، كانوا يخاطبون به فئات من الناس لا**

---

[1] - حسان بن ثابت ص: 10.

[2] - حسان بن ثابت ص: 7.

[3] - شعر لم يقل علي رضي الله عنه (مخطوط) ص: 4.

يتذوقون الشعر، ولا يعرفون شيئا من تاريخ الشعر والأدب، ولذلك انطلى عليهم وصدقوه، ولم يكذبوا منشده، فأثبت في المدونات وتداولته الناس قرناً بعد قَرْن) [1].

ب- توثيق قصائد بعض الشعراء.

نقد كثيرا من القصائد في كتبه النقدية التاريخية وخاصة في تاريخ المدينة النبوية، لكنه خص قصيدة تاريخية مشهورة بدراسة عميقة دقيقة وهي: بانت سعاد فكتب كتابا وسمه بـ (الرأي المستجاد في قصة بانت سعاد: دراسة أدبية تاريخية تأصيلية لقصيدة بانت سعاد).

- اهتم بدارسة هذه القصيدة لشهرتها، ولأنها مرتبطة بسماع النبي صلى الله عليه وسلم لها، فما تضمنته من أمور إذا صحت تعطى لها حكم الإقرار بالتشريع.
- وضع مقدمة منهجية لدراسة القصائد السوائر ونقدها وصنفها إلى:

❖ قصيدة صحيحة اخترعت لها قصة غير صحيحة مثل سبب معلقة امرئ القيس وقصة يوم دارة جلجل.

❖ قصيدة غير صحيحة أضيفت الى حدث صحيح وأمثلتها كثيرة في كتب السيرة.

❖ قصيدة صحيحة الأصل أضيفت عليها أبيات منحولة ومثالها قصيدة ابي طالب التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❖ وقصيدة صحيحة ومناسبتها صحيحة مثالها قصيدة حسان الهمزية.

❖ وقصيدة صحيحة تختلف الروايات في بعض ألفاظها وهذا كثير جدا.

❖ وقصيدة صحيحة الأصل وزيد عليها ومناسبتها غير صحيحة، ومثالها: بانت سعاد[2].

---

[1] - شعر لم يقل علي رضي الله عنه (مخطوط) ص: 2.

[2] - الرأي المستجاد ص: 9.

ثانيا: جهوده في توثيق نسبة النصوص التاريخية.

الشيخ -رحمه الله- كما سبق أحد حصون هذه الأمة، الذين أقضت مضاجعهم قضايا أمتهم الكبرى، وكانت رواية نصوص التاريخ على عواهنها معضلة من معضلات تراث الأمة، ملأت عليه سمعه وبصره، لأن التساهل في روايته جر على الأمة ويلات كثيرة وكان يعتبر **(سلاح التاريخ أقوى من سلاح الصواريخ، لأن سلاح التاريخ يبيد الأمة كلها، ويحولها الى قطعان من العبيد والخدم انقطعت صلتهم بماضيهم وماتت ذاتهم، أما سلاح الصواريخ، فإنه لايفني أمة وانما يقدم شهداء يزيدون الأمة قوة وثباتا)** [1].

وكتب كتابه الرائد: (في أصول التاريخ العربي الإسلامي). الذي يعد بحق أول محاولة لوضع أصول علمية دقيقة لتوثيق نصوص التاريخ، جلى فيه كثيرا من القضايا؛ إذ كل فصل فيه بمثابة كتاب مستقل يحتاج إلى تأمل طويل.

وقد عرض فيه نماذج مختلفة من الروايات وطبق عليها منهجه في النقد التاريخي بقراءة دقيقة طويلة في تراث الأمة، فقد تنوعت أدوات النقد عنده، مما تقضي بالعجب أحيانا كيف تفطن لبعض الدقائق[2].

وقد اهتم الشيخ كثيرا في توثيقه لنصوص التاريخ بقضيتين:

قضية: توثيق تاريخ المدينة النبوية. وقضية: توثيق تاريخي المسجد الأقصى وفلسطين:

أ- توثيق تاريخ المدينة النبوية.

اهتم الشيخ بتاريخ المدينة لما له من مركزية عظمى في تاريخ الأمة (لأن السيرة النبوية يبقى الكثير من أسرارها مخبوءا ما لم تجد تطبيقا على جغرافية المدينة، ولأن تاريخ المدينة بعامة، وفي القرن الأول بخاصة قدوة للمسلمين من جميع جوانبه؛ لهذا كله ولغيره من الأمور نخص تاريخ المدينة بالإعظام والتبجيل، ونرى أن يدرس تاريخ المدينة بأسلوب متفرد لتنقيته

[1] - في أصول تاريخ العرب الاسلامي ص: 5.

[2] - انظر الأمثلة على صدق هذا في كتابه: في أصول تاريخ العرب الاسلامي ص: 206- 268.

من الشوائب ومما نسب الى تاريخ المدينة وهو ليس من تاريخها، فتاريخ المدينة في القرون المفضلة تاريخ ولادة الأمة الاسلامية القوية سلوكا ومنهجا) [1]

فلهذا الاسباب وغيرها حسر الشيخ عن ذراعيه وشمر عن ساعد الجد، وكتب ثلاثة كتب مهمة في توثيق تاريخ المدينة وهي على الترتيب التاريخي وهي:

- المدينة (المنورة) في العصر الأموي.
- أخبار الوادي المبارك (العقيق).
- المدينة النبويَّة فجر الإسلام والعصر الراشدي: الرواية الصحيحة للتاريخ الحضاري السياسي والاقتصادي والاداري والاجتماعي والعلمي للمدينة المنورة.

ب- **توثيق تاريخ المسجد الأقصى وفلسطين.**

المسجد الأقصى اسم كلما ذكره الشيخ أو سمعه حرك أشجانه، وانطلق بصوته الجهوري يسرد قضيته حتى لكأنه يجلي لك تاريخه بين عينيك، ويرجع سبب اهتمامه بتاريخ فلسطين إلى أن:

- ✓ قضية فلسطين هي السبب الرئيس في جعله يهتم بالتوثيق، فأصبح لا يقبل قولا إلا ارتقى لمفهوم الوثيقة ضبطا وإحكاما.
- ✓ أعظم تزوير في التاريخ الحديث حصل في فلسطين.
- ✓ كثيراً من مستندات التزوير التي يحاجج بها اليهود في المحافل العالمية ترجع إلى ما هو موجود في تراثنا التاريخي والأدبي من غير نقد ولا تمحيص.
- ✓ وكان يعد الدفاع عن القدس وتاريخها دفاعا عن حضارة الأمة كلها، وهو يقوم بالنيابة عنها لحراسة ثغر من ثغورها.

والكتب التي سطرها عن المسجد الأقصى وفلسطين ما يلي:

[1] - في أصول تاريخ العرب الاسلامي ص: 90.

- **بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة**. يعد هذا الكتاب أصدق كتاب دون عن المسجد الاقصى؛ حيث الى عمد الى الروايات التاريخية عن المسجد الأقصى بناء وفتحا وغزوا صليبيا، فنخلها وعجم عودها، وقدم خلاصة موثقة يمكن أن يعتمد عليها الباحثون باطمئنان.
- **القول المبين في تاريخ القدس وفلسطين**. وهو كتاب مختصر من الأول حيث اقتصر على صحيح الروايات واضعا ذلك في نقط تاريخية مركزة، لتكون أعلق بالذهن وأسير في الناس؛ ليتبين الحق من الباطل في هذه القضية.
- **موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى التاريخ، الآثار، أعلام الامكنة والرجال**. كتاب من جزأين رتب تاريخ بيت المقدس ترتيبا معجميا يقتصر فيه على ذكر القضية التاريخية أو الأعلام إنسانا ومكانا بأسمائها المشهورة وما روي فيها من تاريخ حقيقي موثق، باختصار دون تطويل في المناقشة، وقصد بذلك تيسير المعلومة الصحيحة الموثقة في تاريخ بيت المقدس.
- معجم العشائر الفلسطينية الحمايل والعشائر والعائلات والقبائل الفلسطينية و أعلام رجالاتها في الأدب والجهاد والسياسة. وهو كتاب ضخم الحجم يوثق فيه أهل فلسطين قبائل وعشائر وأعلاما، لأنهم تعرضوا للتهجير قسرا فتوزعوا في العالم فأراد أن يجمع متفرقهم في كتاب يكون وثيقة تسجل التاريخ الحقيقي لأهل فلسطين.

وفي كتبه عن القدس وفلسطين أصول منهجية دقيقة في نقد الروايات، لو جمعت لكانت الفائدة عظيمة في تأسيس منهج متكامل في أصول النقد التاريخي.

خاتمة:

خلاصة القول: إن الاهتمام بتوثيق نسبة النصوص أمر أساس ينبني عليه ما بعده من استخلاص الدروس الدقيقة والعميقة في الاستفادة من تراث الأمة عامة والأدبي خاصة، ولقد مثل الشيخ الأديب المحقق المدقق محمد حسن شراب

نموذجا فريدا يحتذى في توثيق نسبة النصوص، فالشيخ تبوأ مكانة الرائد في هذه الباب، وللاستفادة من منهجه أكثر فإن الأمر يقتضي العكوف على كتبه ومقالاته الكثيرة، التي طبق فيها المنهج وأعمل فيها مبضع النقد؛ من أجل استخلاص أصول منهجية، تكون معلما لمن يريد سلوك هذا الطريق، وتكون شرطا أساسيا لمن يريد توثيق النصوص.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- ابن عبد ربه وعقده، جبرائيل سليمان جبور، المطبعة الكاثوليكية، 1933.
- تاج العروس، الزبيدي مجموعة من المحققين، دار التراث، الكويت، 1990.
- الأنوار القدسية في معرفة آداب العبوديّة، مكتبة المعارف، بيروت .
- التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.
- ترجمة محمد بن حسن شُرَّاب، بقلمه (مقال مخطوط).
- حسان بن ثابت: شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم: سيد الشعراء المؤمنين المؤيد بروح القدس، دراسة نقدية موطئة لتوثيق ديوان الشاعر محمد شراب دار النوادر دمشق 2007.
- الرأي المستجاد في قصة بانت سعاد: دراسة أدبية تاريخية تأصيلية لقصيدة بانت سعاد، محمد شراب، دار النوادر، دمشق، 2007.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤرخ الفقيه الأديب عبد الحي الحنبلي، المتوفى سنة 1089هـ، دار ابن كثير، دمشق.
- شعر لم يقل علي رضي الله عنه (مقال مخطوط).
- في أصول تاريخ العرب الاسلامي، محمد شراب، دار القلم، دمشق، 1993.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، دمشق، 2003.

- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، بيروت.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1995.
- لطائف المنن والأخلاق، للشعراني، المطبعة الميمنية، مصر، 1903.
- مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الفكر، بيروت، 1970.
- معجم مصطلحات المخطوط العربي، د أحمد شوقي بنبين ود مصطفى الطوبي، الخزانة الحسنية 2013 .
- اليواقيت والجواهر، للشعراني، احياء التراث، القاهرة. (د ت).

تحقيق نسبة المخطوط: صعوباته ومساراته

كتاب اختيارات أبي الحسن علي ابن الفخار الرعيني (ت. 666هـ) نموذجا

د. البشير التهالي ود. رشيد كناني

لقد يسَّر الله تعالى لنا الوقوفَ على الأصل المخطوط للكتاب موضوع هذه الورقة أثناء زيارةٍ لنا إلى خزانة أزاريف العامرة بربوع سوس جنوبَ المملكة المغربية، من جُملة ما تهيَّأ لنا الوقوفُ عليه من أعلاق هذه الخزانة منذ بِضع سنوات خلت. وكان مما أثارَنا فيه، اشتمالُه على مجموعة من التراجم والاختيارات التي لفتت انتباهَنا إلى قيمته الأدبية. عرَّفَه لنا شيخُ المدرسة وربُّ الخزانة الفقيهُ سيدي امحمد بن الحسن الأزاريفي بأنّه مجموعٌ في الشعر الأندلسي. وزيادةً في الفضل تكَرَّمَ بإعارته لنا بقَصْدِ النظر فيه إن كان مما يستحق أن نعكف عليه تحقيقاً ونشراً. وبعد أن أُبنا بالنسخة عمِلنا على عَرْضها على المكتبة الأندلسية، فتبيَّن لنا أنها تُكِنُّ نفائسَ شعريّةً، وذخيرة تراجم لأدباء لم تَرِدْ في أيِّ مصدر من المصادر المتداوَلة من تراث الأندلس، وأنّها تتعلَّقُ خاصةً بأدباءِ القرنين السادس والسابع الهجريين.

وقد حمَلَنا هذا على عقد النّيَّة لقراءتها، وضبط مَتْنِها، والتعليق عليه تهييئاً لنشْرها، حتى تَعُمَّ فائدَتُها على سبيل استكمال الصورة العامة للأدب الأندلسي في الفترة المذكورة.

صورة الكتاب وأهميته

أ-صورة الكتاب

قبل أن نتطرق إلى إيضاح بعض جوانب الأهمية العلمية التي سيُضيفها هذا الكتاب إلى المكتبتين الأندلسية والعربية؛ نَرى لِزاماً علينا أن نُسجِّل جُمْلةَ ملاحظات عَنَّتْ لنا أثناء معاشرَتنا الطويلة لِمتْنه. إذ ربما ستُجيبُ عن سبب سكوت المصادر عن ذِكره فيما ذكَرتْه من مؤلفات ابن الفخار الرعيني، وانفراد "برنامجه" بالإشارة إليه. فقد سكتَ عن ذكر الكتاب ابن عبد الملك المراكشي مع أنه اختصَّ بالرُّعَيْني وتَلْمذَ له، وأفرَدَ له ترجمةً حافلةً في "الذيل والتكملة". وإليك هذه الملاحظات:

- احتمال أن يكون الكتاب قد تركه صاحبُه مُسَوَّدَة لم يُمهِلْه أجلُه لتبييضها. ولعل في هذا شَبَهاً بكتاب ابن القطاع الصقلي: "الدُّرَّةُ الخطيرة، في شعر الجزيرة"، الذي تواتَر الخبرُ بذكره، والنصِّ على أن صاحبَه لم يُبَيِّضْه قيْدَ حياته، بل تركَه مسوَّدَةً أفاد منها مَن جاء بعده، وسَلِمَ له منها مختصران؛ أحدهما لابن منجب الصيرفي، والثاني لأبي إسحاق بن أغلب، واللذين كانا عمدة محققي "الدرّة الخطيرة" وإعادة بنائها.

ومما يؤكد هذا الاحتمال كونُ النسختين اللتين اعتمدناهما تبتدئان معاً بترجمة عبد الجبار المرواني دون مقدمة يبسط فيها المؤلف -على عادة أصحاب كتب الاختيارات- منهجه في التأليف والاختيار، ودواعي التصنيف. فكأنما بقي الكتابُ مفتوحاً على مَوارِدَ أخرى من الأشعار والتراجم، كان صاحبه ينوي ضمها إلى ما تَوَفَّرَ له في المراحل الأولى للجمع، قبل أن يعمد إلى حسن القيام به، وترتيبه، وإبرازه تامَّ الخلقة، منسجمَ الصورة.

- لقد ألَّف الرعيني "برنامج شيوخه" في أخريات حياته كما نَوَّه بذلك محققُه في قوله: «يتحدث الرعيني عن شيوخه بحالة البعيد العهد بهم، وقد أوضح في مقدمة "البرنامج" أنه اهتم بتصنيف مشيخته متأخرا» [1]. وفي ذيل "البرنامج" أَلْمَعَ الرعيني إلى كون كتاب "جنى الأزاهر" مازال بين يديه لم يُطْلِقْه بعدُ للتداول. ويُفهَم من عبارته عنه أنه ما فتئ يغنيه بالمادة الأدبية التي يضمُّها إليه تِباعاً على نحو اتِّفاقيٍّ لم تتضح معالِمُه البنائية بعدُ. فلعلّ ما بقي منه هو هذا المجموع الذي وصلَنا بعد أن ضاع منه ما ضاع، وهذا واقعُ جُلِّ كتُبِ الاختيارات لهذا العهد؛ فمنها ما فُقِدَ كُلِّيةً، ومنها ما سلمت منه أجزاء فقط، كـ"أعلام مالقة" لابن خميس، وابن عسكر، و"زواهر الفكر وجواهر الفِقَر" لأبي العلاء بن المرابط المرادي، وغيرهما.

- والظاهر أن كتابنا شرع صاحبُه في جمعه على حَداثةٍ؛ حيث اختار لأبي العباس الجراوي (ت. 609هـ)، وذكره بما يفيد أنه ما يزال حيّاً زمنَ الْجَمْع؛ حين قال في مستهل المختار من شعره: «وللشيخ الفقيه الأديب الجراوي -أعزَّه الله- يمدح السيد أبا الربيع بن أمير المؤمنين» [2]. واستمر الرعيني في تأليفه إلى أخريات حياته دون أن يَفْرُغَ منه، فلَمْ يَتَلَقَّهُ

[1]- البرنامج، ص. م.

[2]- المخطوط، ص. 108.

عنه أحدٌ، لا سماعاً ولا مُناولةً. وانتهت المسوَّدةُ أو ما بقيَ منها إلى مَن نسَخَ عنها ما نسَخ، فأتى الكتابُ على خلاف ما كان ينويه المصنف في قوله: «... وستَرِدُ -إن شاء الله تعالى- مسوقةً سَوْقَ العِراب مع أشكالها ونظائرها، مسوقةً على تَرائب الآداب أسلاكُ جواهرها»[1].

فالكتاب الذي وقع بين أيدينا قرين الاضطراب، معتلٌّ بالخلط والسقط، لم يُقَيِّضْ له الله مَن يُخرِجُه إخراجاً قريباً مما كان يؤمِّلُه له صاحبُه؛ فعلى الرغم من كون النسخة التي بين أيدينا يَذْكُرُ ناسخُها على أنّه ينقلها عن نسخة سابقة ويقابل عليها للتصحيح ناصّاً عليه أحيانا بحرف الباء علامةِ المقابلة، وحيناً بالتنبية في الطُّرَّة إلى استدراكاته من الأصل الذي ينقل عنه، كقوله في بعض مواضع الكتاب: «قف، هي لابن مرج كحل، وقد نُبِّهَ على ذلك في طرّة النسخة التي انتُسِختْ هذه منها» [2]، مصحِّحاً بذلك نسبة القصيدة إلى مرج الكحل بدل ابن بدرون؛ فعلى الرغم من ذلك كله، وقَعَ الدَّمْجُ بين شعري ابن حريق وابن حربون الذي سقطت ترجمته من متن الكتاب، وبين شعر لأبي القاسم عبد الرحيم بن الفرَس وشعر أبي بكر بن الأغر الذي سقطت ترجمتُه وأولُ المختار من شعره[3]. كما كَرَّر سبْعَ مقطوعات سبَق ورودُها في شِعْر أبي بكر بن سَهْل اليَكّي في المختار من شعر الأديب المخزومي الأعمى، وإن كان الناسخ قد نَبَّه على هذا السَّهْو في الطرة بقوله: «إلى هنا»؛ دلالةً على انتقال النظر في هذا الموضع[4]. أما الخلط فإنه واقع بين شعر أبي العباس الجراوي وشعر أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي، وقد نَبَّهْنا على المسألة في محلِّها.

- وفيما يتصل بضياع أجزاء من الكتاب، وسقوط تراجم ونصوص بعينها نذكر تمثيلا لذلك بابَ الزهد الذي أشار إليه عند إيراده قصيدة لأبي بكر الواعظ السلوي، حيث قال: «وأنشدت لأبي بكر الواعظ، وقد تقدم ذكْرُه في الزهد» [5]، وفصْلَ شعراء مِصْرِه الذي ذكَرَه أثناء حديثه عن أشعار الشعراء المقلّين من أهل العصر، بقوله: «ثم أتْلُوهُ

---

[1]- البرنامج، ص. 214.

[2]- المخطوط، ص. 47.

[3]- نفسه، ص. 55.

[4]- نفسه، ص. 104.

[5]- نفسه، ص. 50.

بِطُرَفٍ مُسْتَطْرَفَة لمتأخري شعراء مِصْري في هذا العصر بحول الله تعالى» [1].

أما عن سقوط تراجم خاصة من الكتاب سوى ما تقدَّم، فنذكر ترجمة أبي الوليد يونس بن محمد القَسْطَلي والمختار من شعره، يدُلُّ على ذلك قولُه متحدِّثا عن قصيدة لأبي بحر صفوان يعارض فيها قصيدة للقسطلي المذكور: «وله يمدح الوزير أبا عمرو بن حسون، معارضاً للقسطلي في قصيدته التي أوّلها:

بَنَيْتَ بِدَارَةِ الرَّقْمَتَيْنِ دَارَا فَدَعْ غُمْدَانَ أَوْ إِيوَانَ دَارَا

وقد مرَّت في ذكره» [2].

وكذا ترجمة أبي بكر بن مُجَبِّر وشعره، مما يستفاد من قول المصنف معلِّقاً على أبيات لسهل بن مالك أخذَ معناها من بيت للمذكور: «هذا من قول أبي بكر بن مُجَبِّر، وقد تقدم في ذكره» [3].

ومن النصوص التي انتهينا إلى سقوطها من متن الكتاب، وأفَدْنا منها أيضا أن ترجمة أبي بحر صفوان بن إدريس لم يَكُن مَحلُّها في ذلك الموضِعِ مِن الكتاب؛ بل كانت قبل ترجمة مرج الكحل؛ رسالة "عنوان التصريح عن الود الصريح" التي نقل عنها في ترجمة مرج الكحل، وأشار إليها بقوله: «وذكره أبو البحر في رسالته المتقدمة في ذكر جزيرة شقر» [4]. وهذه الرسالة مما حققه الدكتور محمد بنشريفة من تراث أبي بحر.

ب- أهمية الكتاب

يضم الكتاب بين دفَّتَيه مادةً شعرية وفيرةً لشعراء عصر الموحِّدين تربو على ألفين وثمانمائة بيت، فضلاً عن الرسائل والمخاطبات. وأكثرُها مقصور على هذا المصنَّف، مختصٌّ به دون غيره من مصادر الأدب الأندلسي لهذا العهد. وبهذه الهيئة يمكن القول إنه أحد كتب الاختيارات الأدبية الفريدة التي وَجَبَ استثمارها في التأريخ للأدب الأندلسي

---

[1]- نفسه، ص. 45-46.

[2]- المخطوط، ص. 133.

[3]- نفسه، ص. 91.

[4]- نفسه، ص. 122. وهذه الرسالة مِمّا حققه الدكتور محمد بن شريفة من تراث أبي بحر، ضمن كتاب: أديب الأندلس، أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي، عمر قصير وعطاء غزير، ص.189.

عصرئذٍ، والانطلاق منه للتعريف بأعلامه وفنونه واتجاهاته، خاصة أن المؤلّف يورِد تحت أغلب التراجم القصائد الطوال والمتعدِّدة، بما يتيح تبيُّنَ مذاهب الشعراء في النظم، واقتدارهم على التصرُّف في المعاني والأعاريض والأغراض، إذا استحضرنا أن جُلَّ دواوين شعراء المرحلة حالَ بيننا وبينها الضياع، وما عرفناه منها لم يكن غير نشرات مصنوعة من قِبل عددٍ من الباحثين في التراث الأندلسي، استخرجوها مما بُثَّ في مصنفات التاريخ والتراجم العامة والخاصة، إلا في حالات قليلة.

وكتابُنا هذا يُعدُّ مَوْرِداً ثَرّاً يُمكِّنُ من الاستدراك على مجموعة من النشرات لشعر شعراء المرحلة، وتصحيح ما شابَها من تحريف أو تصحيف أو سقْط أو وَهْمٍ، شأن شعر ابن حريق البلنسي، وصفوان بن إدريس التجيبي. وقد كان، سابقاً، معتمَدَنا في إخراج مستدركين على شعر أبي العباس الجراوي[1]، ومحمد بن إدريس المعروف بمرج الكحل[2]. وفوق ذلك فالكتاب يتيح فُرصَةً طيبةً لصُنْع مجاميع شعرية أخرى لأدباء لم تُجمَع أشعارهم بَعْدُ، يمكن أن تَؤُول إلى دواوين شعرية صالحة إذا ضُمَّ إليها ما احتوته بعض كتب التاريخ والأدب الأندلسيين من المقطعات والقصائد والرسائل المنسوبة إليهم. ونُمثِّل لذلك بشيخي الرعيني أبي القاسم عامر بن هشام، وأبي إسحاق إبراهيم بن علي الزوالي الخولاني، وبالأديب أبي القاسم محمد بن علي البراق؛ فقد أثبت لهم المؤلف قدراً كبيراً من النصوص نَيَّفَ بعضها على الخمسين بيتا، فضلا عن الرسائل.

إن المختارات التي ساقها الرعيني في مُصنَّفِه تنطوي على أهمية تاريخية مَفادُها توثيقُ النشاط السياسي والعسكري للموحِّدين والاستدلال عليه، فقد اختص كثير من الشعراء المترجمين بخلفاء الدولة وأمرائها، ووفدوا عليهم بدار الخلافة، وأعقبوا على مآثرهم قصائد جياداً. ومن ذلك قصيدة أبي الحسن بن حريق في مدح أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي، مهنئا له بهزيمة أذْفنش سنة 591هـ، وهي قصيدة حافلة بتفاصيل الواقعة وأجوائها. وقصيدته في مدح الأمير أبي يحيى بن أمير المؤمنين أبي يعقوب

[1]- ط. 1، 2005، الدار البيضاء.

[2]- ط. 1، 2009، الدار البيضاء.

يوسف التي يستفاد منها تولّيه أعمالَ بلنسية أيضا إلى جانب مقاليد قرطبة التي اقتصرت عليها كتب التاريخ في خبر عابر في "البيان المغرب"[1].

ونظيرُها عند أبي القاسم عامر بن هشام في مدح الأمير المذكور يُجَلِّي فيها كثيرا من ملامح سيرة هذا الأمير بالأندلس مما لم يَرِد في تواريخ هذا العهد، والمقصود حائيته التي مطلعها:

أَعَدْتُمْ غَمَامَ النَّصْرِ يَنْهَلُّ سَافِحَا وَأَبْدَيْتُمُ وَجْهَ الْبَشَائِرِ وَاضِحَا

حيث يؤرِّخُ الشاعر لعدد من الفتوح والبطولات التي نَهض بها الأمير أبو يحيى في الأندلس.

وتجدر الإشارة إلى أن الأمير أبا الربيع سليمان الموحدي قد حظي في الكتاب بنصوص كثيرة تصدَّتْ لمدحِه، وتثمين آثاره، كأشعار ابن البراق، ومرج الكحل، وسواهما. ويتحصَّل مما انتقاه المؤلف في هذا الباب ديوان كبير في الأمداح المقصورة على أبي الربيع الذي عُرف بإقباله على الأدباء، وقرضه للشعر، إلى سيرة محمودة فيما تَوَلاَّه من مهام الخلافة.

وفيما يتصل بالبعد الحضاري للمختارات الماثلة في الكتاب، يمكن استدعاء نصوص دلت على خصوصية المجتمع الأندلسي في جانب العمارة والعلم والأغذية؛ منها شواهد في وصف المساجد والحمامات، وبعض أصناف الأطعمة كالمجبنات، وأنواع الفواكه كالتين الشعري، وآلات الكتابة وأدواتها، وتقاليد الأندلسيين في النسخ الواردة في رسائل أبي محمد عبد الجبار المرواني، وأبي القاسم عامر بن هشام.

وكما تفرَّد الكتاب بمتن أدبي شعري ونثري لم يَرِدْ في غيره؛ فقد توَحَّدَ في الترجمة لثلَّة من الشعراء لم نقف لهم على ذكر في كتب التراجم والأخبار الأندلسية المشهورة والمتداولة؛ وهم: أبو محمد عبد الجبار المرواني الذي استهل به المصنف كتابه، وأخوه أبو بكر المرواني، وأبو بكر بن الأغر، وأبو إسحاق بن عثمان، والأديب أبو جعفر بن عاصم المرسي، وأبو الوليد يونس بن عيسى، والأديب اليهودي أبو الحجاج بن حسداي، والأديب أبو القاسم بن كامل شلبي، والأديب أبو القاسم عبد الرحمن بن طلحة التونسي المتَّهَم

[1]- قسم الموحدين، ص. 156.

بانتحال شعر الأعز بن قلاقس الإسكندري. ومن المذكورين في عرض المصنف من غير ترجمة: الأديبُ الوشاح أبو الحسن بن فيرن، والظاهر أنه بلنسي حسبما استفدناه من سياق وروده في طائفة من شعراء بلنسية؛ منهم الرصافي البلنسي، ومرج الكحل، تواردت نصوصُهم على وصف الرياض، ومجالس الأنس.

4) مصادر الكتاب

لدى مُعاناتِنا للمخطوط، وتحليل مادته، وقفْنا على أن المصنف استمدَّ مختاراته من جملة مصادرَ، يمكن حصرُها في مصدر رئيسي يحتل من الكتاب مركز النواة، لم تتضح لنا صورَتُه، وإليه يشير بصيغ من قبيل: وقال من أخرى، وله، وله من قصيدة فريدة لم يَقَعْ إليَّ منها إلا ما أثبتته، وجاوَبَه...

أما المصدر الثاني فهو التلقي المباشر عن أصحاب المختارات المثبتة بصيَغٍ تفيد السماع؛ كقوله: حدَّثني، أنشدني، أو المكاتبة التي تفيدها صيغ مثل: كتب إلي.

والمصدر الثالث هو الذي يعتمد فيه المصنف على محفوظه مما تؤديه عبارات مثل: هذا كقول فلان، وهذا نظير قول فلان، أو قوله: وله بيتٌ من قطعة ذهبت عني.

أما المصدر الرابع فهو النقل عن كتُبٍ سابقة من غير تصريح بذلك؛ وقد قادنا إلى معرفتها وتحديدها ما أجريناه من المقابلة بين متن الكتاب وبين مصادر المكتبة الأندلسية، وتبين لنا عقِبَ ذلك أنه يعتمد في بعض فصول الكتاب على مصدرين أساسيين هما: "زاد المسافر" لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي الذي كان ينقل عنه أحيانا باللفظ، بالنظر إلى تشاكلهما في الغرض من التصنيف وهو التعريف بأدباء العصر الموحدي. وقد نبهنا على نقوله في مواطنها من الكتاب.

والثاني: هو كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريني الذي استدعاه المصنِّف في فصل: مقطوعات أشعار في صفة الخيل، ونقل محتواه باللفظ من "الذخيرة" مع تصرُّف يسير. وقد بعثه على ذلك إيرادُه مختارات لأبي الحسن بن خروف القيسي القرطبي (ت. 620هـ) في وصف الفرس تخلص منها إلى ما نَقَلَه عن "الذخيرة" التي تداعى إليها في سياقات أخرى معدودة استفاد فيها من تعليقات ابن بسام على بعض

الأشعار لمناسبتها مواطن الاستشهاد عنده؛ كتعليقه على قول أبي القاسم عامر بن هشام من قصيدة:

لَمْ تَتْرُكُواْ جَوْراً وَلاَ حَيْفاً سِوَى مَا فِي عُيُونِ الْغِيدِ مِنْ عُدْوَانِ

هذا مأخوذ من قول الآخر:

لَمْ يَبْقَ لِلظُّلْمِ فِي أَيَّامِهِمْ أَثَرٌ إِلاَّ الَّذِي فِي عُيُونِ الْغِيدِ مِنْ حَوَرِ

وقال ابن الأبار:

لَوْ يَخْفِرُ الْعُشَّاقُ بِيضَ سُيُوفِهِ لَمْ يَتْرُكُواْ عِنْدَ الْعُيُونِ ذُحُولاَ

وقال المتوكل بن الأفطس في صفة سيف وأخبر عنه:

لَوْلاَ فُتُورٌ بِأَلْحَاظِ الظِّبَاءِ إِذَنْ إِنِّيَ أَمْضَى مِنْ ظُبَى الْحَدَقِ[1]

والرعيني هاهنا إنما ينقل تعليق ابن بسّامٍ في سياق قريب على بيت ابن الأبار المذكور، وهو من قصيدة طويلة مطلعها:

حُيِّيتَ مِنْ بَرْقٍ يُجِنُّ جَنَانُهُ وَجْداً إِلَى أَهْلِ الدَّخُولِ دَخِيلاَ

(...)

لَوْ تَخْفُرُ الْعُشَّاقَ بِيضُ سُيُوفِهِ لَمْ يَتْرُكُواْ عِنْدَ الْعُيُونِ ذُحُولاَ

وما أحسن قول أبي الفضل بن شرف:

لَمْ يَبْقَ لِلظُّلْمِ فِي أَيَّامِهِمْ أَثَرٌ إِلاَّ الَّذِي فِي عُيُونِ الْغِيدِ مِنْ حَوَرِ

وقال المتوكل بن الأفطس في صفة سَيْفٍ وأخبَر عنه:

لَوْلاَ الْفُتُورُ بِأَلْحَاظِ الظِّبَاءِ إِذَنْ لَقُلْتُ إِنِّيَ أَمْضَى مِنْ ظُبَى الْحَدَقِ[2]

ولا يخفى وجهُ المناسبة بين النصين.

1) تحقيق نسبة الكتاب

كان من أوَّل ما اعتَرَضَنا من عقبات هذه الخطة مُشكِلَةُ تحقيقِ نسبةِ الكتاب إلى

[1]- المخطوط، ص. 72-73.

[2]- الذخيرة: 2/124-125.

صاحبه، وتَعَرُّفِ عنوانه الأصلي؛ لأن النسخةَ عاريةٌ عن اسم المؤلِّف، وعنوان المؤلَّف، وكذا عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ اللهم من إشارة في طرة أعلى الصفحة الأولى من جهة اليسار كتبت بمداد أحمر واعتراها طمس بحيث لم يعد يظهر منها إلى الآتي :" الاختيارات (...) أبي الحسن حفظه الله". فكان أن أرْجَأْنَا الاهتمام بهذا الأمر إلى حين الانتهاء من تحقيق المتن بجميع تفاصيله، لعلّنا نفيد من طول النظر في الكتاب ما يُعِينُنا على تَبَيُّن ملامح هذه النسبة.

وفي مجرى قراءتنا المتأنّيَة وقفنا على مَطْلَع قصيدة لمصنِّف الكتاب خاطَب بها الأديب أبا الحسن الهيثم بن جعفر في سياق الترجمة له، وهو قولُه:

«وكتَبَ إلَيَّ جَواباً على قصيدةٍ كتَبْتُها إليه، أوَّلُها:

يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ نَحْوِ الْحِمَى طَالَ مَا هِجْتَ فُؤَاداً مُغْرَمَا

والجوابُ:

يَا عُيُونَ السُّمْرِ لاَ سُمْر الْقَنَا عَنْ سَلِيمَاتِ الظُّبَى لاَ تَلْقَنَا (...)»[1].

وتدُلُّ هذه المخاطبة على وُثوق الصِّلة بين المؤلِّف، وصاحبِ الترجمة الذي وقَعتْ تَحْلِيَتُه في الكتاب بقوله:

«شاعرٌ نبيه، محسِن في التَّرَوِّي والبديه، سابقٌ في حلبة الشعراء لاحِقاً والوجيه، يفوحُ بالمحاسن فوه وينطق، فيقرطس أغراض المعاني ويطبّق. أحفظ الناس لأشعار المحدثين والمولَّدين، وأرواهم لبدائع المحسنين والمجيدين»[2]. وهو كلامٌ قريبُ الشَّبَهِ مما ذَكَرَه الرُّعَيْني في ترجمة شيخِه الهيثم بن جعفر المذكور، ونصُّها: «شاعرُ إشبيلية، الذاكرُ للآداب وأشعار العرب واللغات؛ جالستُه كثيراً وحاضرْتُه، وأنشدني من أشعاره جملةً كبيرة، وسمعتُ من منثوره وهو قليل؛ وكان من أسرَع الناسِ بَديهةً، وأعْجَلهم ارتجالاً، وربَّما اختَبَرَه الطلبةُ بأن يقترحوا عليه معاني الشعر وأعاريضه وقوافيَه، فيرتجل ذلك

[1]- المخطوط، ص. 38.

[2]- نفسه، ص. 37.

بسرعة حتى كأنه يُمْليه من حِفظه» [1].

ومما يستوقفنا لدى المقارنة بين النصين، اتفاقُهُما في مضمون التحلية، وإن اختلفت الألفاظ؛ فقد جَرى النصُّ في نعت الهيثم بن جعفر على حفظِه للأشعار، وسرعةِ بديهته، وارتجالِه. أما إشارةُ الرعيني في "البرنامج" إلى قلة منثور شيخِه مقارنةً بشعره، ففي "المخطوط" مِصْداقُ ذلك؛ حيث أورَد له رسالةً كتبَ بها إليه، دلَّتْ على نُزوعِه إلى الإقلال، قال: «وكتبَ إليَّ أيضاً إثرَ مخاطبة منه لَمْ يَرَ عليها جواباً لعوائق الزمان: سَيِّدي، ومِثْلُك مَن حَسُنَتْ سِيَرُه، وأُمِنَتْ غِيَرُه، وارتسَمَتْ في صفحة الصفاء صُوَرُه، وتُلِيَتْ بألْسِنَة الوَفاء سُوَرُه، فما لِذاكَ البِشْرِ قد أخْلَفَ برقُه، وأسْدَف غربُه وشرقه، وكنتُ -أعلى الله قَدَمَك، ولا أَرَاقَ باللَّوَاحِظ النُّجْلِ دَمَك- قد جاذَبْتُكَ ذوائبَ الخِطاب مُجَاذَبة الْخُطَّاب. ولئن غَيَّرَكَ هَزْلِي ونَقْضي، بزَعْمِك، بَعْدَ قُوَّةِ غَزْلِي؛ فإن بين جوانحي فُؤاداً يتشوَّفُ لِلِقائِك، ويتطوَّفُ بين بَطْحائك وبَرْقَائك، وأرغَبُ في الخِطاب أن تُلْحِفَني بُرُودُه، وتُرْشِفَني بَرُودُه، والسلام» [2].

وفي "المخطوط" أيضا ما يُوافِقُ الْحُكْمَ النقدي للرعيني على شعر شيخه الهيثم بن جعفر في قوله: «إلاّ أنّ كَلامَه لا يأتي مُنَقَّحاً، ولا كثيرَ التناسب، ولا تَطُولُ أيضا قصائدُه؛ إنما كان أكثرُ ما يأتي به قِطَعاً» [3]. فقد اختار له في المخطوط قطعتين، إحداهما واردَةٌ في "البرنامج"؛ وهي السينية التي خاطب بها الأديب أبا البحر صفوان بن إدريس التجيبي، أوَّلُها:

إِيهٍ أبَا الْبَحْرِ وَالأَيَّامُ قَاطِعَةٌ وَالشَّوْقُ يَتْعَبُ بَيْنَ النَّفْسِ والنَّفَس[4]

ومقطوعة أخرى مُلغِزاً في محبوبه، مطلَعُها:

بِأَبِي فَدَيْتُ مَنِ اسْمُهُ فِي وَجْهِهِ وَانْظُرْ هُدِيتَ إِلَى رُمُوزِ كَلاَمِ[5]

---

[1]- برنامج الرعيني، ص. 191.

[2]- المخطوط، ص. 39.

[3]- البرنامج، ص. 192.

[4]- المخطوط، ص. 38، والبرنامج، ص. 193.

[5]- المخطوط، ص. 38.

فضلاً عن القصيدة التي جَاوَبَ بها المؤلِّفَ، وقد أشرنا إليها سابقا، ثم نصُّ الرسالة الآنفة الذكر.

ومن خلال هذه الموازَنة بين المصدرين رَجّحْنا أن يكون "المخطوط" من آثار ابن الفَخَّارِ الرُّعَيْني أخذاً بالاعتبار إشارَتَه في نهاية "برنامج شيوخه" إلى أنّ بين يديه كتاباً قَيْدَ التصنيف خَصَّ به أشعارَ شعراء العصر، وجعلَه صِلَةً لمطمح ابن خاقان وذخيرة ابن بَسَّام. ومما عَزَّزَ لدينا هذه القناعة أنه أثناء اشتغالِنا بشعر ابن حريق من "المخطوط"، انتهينا إلى عمل الدكتور محمد بنشريفة: "ابن حريق البلنسي حياته وآثاره"، الذي ضمَّ ما وقفَ عليه من شعره. وقد كان مُعْتَمَدَه في ذلك بعضُ خروم الخزانة الحسنية تحمل رقم 4958. وحين مقارنتنا بينه وبين ما في المخطوط لاحظنا تطابُقاً بين محتوَيَيْهما، فسَعَيْنا إلى الحصول على صورة لتلك الخروم عسَاها تُفيدنا في طَلِبَتِنا إن كان فيها ما يُرْشِدُ إلى ذلك. لكننا وجدناها على غير ما أمَّلْنا.

وكان مما ذكره الدكتور بنشريفة أثناء تعريفه بهذه القطعة من الخزانة الحسنية أنها قد تكون جزءاً من مؤلَّف لأبي الحسن الرعيني أو ابن الأبّار[1]. ومن المؤكَّد أنه يقصد بذلك "جنى الأزاهر" لابن الفخار الرعيني، أو "خضراء السُّنْدُس في شعراء الأندلس" لابن الأبّار القضاعي الذي صنف كتاباً آخر في شعراء شرق الأندلس سمَّاه: "إيماض البرق في شعراء الشرق" لا ينسجم مع مضمون الكتاب الذي لم يقتصر على شعراء الشرق الأندلسي فحسب؛ بل تَعدَّاهم إلى غيرهم في مختلف أقطار الجزيرة.

وكِلاَ الكتابين -"جنى الأزاهر"، و"خضراء السندس"- في حكم الضياع. وبعد تأمُّل طويل، ومدارسة مستفيضة لمحتوى المخطوط رجَّحْنا أن يكون كتابَ "جنى الأزاهر"، وقد حمَلَنا على هذا الترجيح جملة أدلَّةٍ نُرتّبُها على ما سبق سَوْقُه. وبيانها:

- إن النسخة الأزاريفية تبتدئ بعبارة: «بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله وسلم على سيدنا محمد (...) نستعين (...) الاختيارات (...) أبي الحسن حفظه الله». فوُرود لفظة "الاختيارات" منسوبة إلى أبي الحسن جعَلَنا نستبعِدُ ابن الأبار؛ لأنه لم يُعرَف بهذه الكُنْية.

[1]- ينظر ابن حريق البلنسي، ص. 31، الهامش 86.

فالمذكورُ بها من أصحاب الاختيارات في هذا العصر لا يعدو الرعيني، وابن سعيد. أما استبعادُنا لابن سعيد، وترجيح الرعيني فقد بَنَيْناه على كون منهج الاختيار في "المخطوط" يخالف تماماً منهج ابن سعيد فيما بين أيدينا من مؤلفاته؛ فهو غالباً ما يكتفي في اختياراته بالأبيات القليلة، يوردُها غالباً مصنَّفةً حسب الموضوعات أو الأمكنة. فضلاً عن كون بعض المترجَمين في "المخطوط" الذين ذَكَرَ المصنِّفُ لقاءَهُ بهم، وروايَتَهُ عنهم، كأبي بحر صفوان وابن البراق؛ لا يتأتى لابنِ الأبّار، ولا لابن سعيد الاتصال بهم؛ لأنهما وُلِدَا بعد وفاتهم.

- إن كتابَ الرُّعيني "جنى الأزاهر"، هو تذييلٌ على مَتْنَيْن معروفين هما: "مطمح الأنفس" لابن خاقان، و"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بَسَّام. وبتأمل الموجود بين أيدينا نكَادُ نَجْزِم أنّ مادَّتَه تُطابِق هذه الصفة. فالكتابُ يشمل تراجم واختيارات شعراء دولة بني عبد المؤمن الذين أعْقَبوا شعراء "الذخيرة"، وبخاصة شعراء المائة السادسة وأوائل المائة السابعة للهجرة. بل إن منهج الكتاب يشي بأنه تذييل على الكتابين المذكورين؛ ففي تراجمه يحتذي نَفَسَ الفتح بن خاقان في "المطمح"، ومذهبه في التحلية ونُزوعَه إلى التسجيع؛ ويكفي للدلالة على ذلك أن نُقارِن بين قول الفتح بن خاقان في أبي عبد الله محمد بن الحداد، من "مطمح الأنفس"، وبين قول المصنِّف في الأديب أبي القاسم عامر بن هشام من "المخطوط"؛ نص "المطمح": «الأديب أبو عبد الله محمد بن الحداد: شاعر مادح، وعلى أيدي الندى صادح، لم ينطقه جود معن أو صمادح، فلم يرم مثواهما، ولم ينتجع سواهما (...) مع تميزه بالعلم، وتحيزه إلى فئة الوقار والحلم، وانتمائه إلى آية السلف، ومذاهبه مذاهب أهل الشرف. وكان له لسان ورأي يشهدان له بالنباهة، ويقلِّدان كاهله ما شاء من الوجاهة، وقد أثبت له بعض ما قذفه من دُرَرِه، وفَاهَ به من محاسن غرره؛ فمن ذلك قولُه» [1].

أما نص "المخطوط": «ينبوع الأدب الذي لا تنضُبُ موارده، ولا يظمأُ وارِدُه، وعَلَمُ الفضل الذي يُسامَى يفَاعُه، ولا يُضاهى ارتفاعه، امتد في ميدان البيان باعُه، حتى بهرَتْ

[1]- مطمح الأنفس، ص. 179.

جميع معاصريه خِلاَلُهُ وطِبَاعه. فغَدَا في زمانِه علما، وبكعبة الإحسان ركنا مُسْتَلَماً. وقد أثبت من كلامه ما هو كالدُّر المنتقى، ومن قَلِيبِ كل حِكْمَةٍ مستقى، فمِنْ ذلك قوله» [1].

بينما يحتذي منهج ابن بسام في "الاختيارات"؛ حيث يورد القصائد العديدة التامة للأديب الواحد، مع مزج ذلك ببعض رسائله إن كان من المتَرَسِّلين.

- روايته عن بعض الشيوخ الذين عَرَّف بهم في "برنامجه" مثل الزوالي، والهيثم بن جعفر، وأبي القاسم عامر بن هشام، ومرج الكحل، وسهل بن مالك، وسواهم. وقد أسلفنا الحديث عمّا جرى بينه وبين الهيثم بن جعفر السكوني من المخاطبات. وفي ذلك تأكيد على أن صاحِبَ هذا المجموع من تلاميذهم. ولعلَّ الرعيني، على ما عُرف به من نباهةٍ، ووثوق الصلة بينه وبين شيوخه الذين قدَّموه للتدريس وهو ما يزال في طور الصِّبَا، أن يكون هو المقصود.

- أثبتَ المصنِّف في ترجمة ابن البراق (ت. 596هـ) أنّه رآه في صِباه: «رأيتُه وأنا غلام، ما نَفَحَ لرَوْضي نسيمٌ، ولا سَمَحَ خاطري ببيتٍ ولا قسيم، أيامَ ذِمامُ الشَّبيبة غَيْرُ ذَميم، وإذْ على جيدي الرُّقَى والتَّميم» [2]. ومعلوم أن الرعيني وُلِدَ قبل وفاة ابن البراق بأربعِ سنين؛ بينما وُلِد ابن سعيد بعد الستمائة، الأمرُ الذي يَمْنَع صلةَ ابن سعيد بهذا الكتاب كما أسلفنا. ويُصَحِّحُ نِسبَتَهُ للرُّعَيْني؛ بالنظر إلى إمكانية رؤيته لابن البراق في هذه السن، وروايته عنه، وسماعِه منه كما في قوله: «ورأيتُه (...) وهو ينشد هذه الأبيات:

أَجِلْ عَيْنَيكَ فِي عَيْنِي تَجِدْهَا مُشَرَّبَةً نَدَى وَرْدِ الْخُدُودِ
وَصَافِحْنِي تَجِدْ عَبَقاً بِكَفِّي يَضُوعُ إِلَيْكَ مِنْ رَدَعِ النُّهُودِ
وَخُذْ سَمْعِي إِلَيْكَ فَإِنَّ فِيهِ بَقَايَا مِنْ حَدِيثٍ كَالْعُقُودِ» [3]

وهذا لا يُستَغْربُ من الرعيني فقد أجيز من بعض شيوخه وهو دون الرابعة عشرة. ذكَر في ترجمة شيخه الأستاذ المعمَّر المتقن أبي زكريا يحيى بن سليمان بن مرزوق الجذامي

---

[1]- المخطوط، ص. 69-70.

[2]- المخطوط، ص. 92.

[3]- نفسه، ص. 92.

(المتوفى في ذي القعدة 606هـ) أنه قرأ عليه «كتاب الفصيح في دوْلةٍ واحدة (...). وقرأت عليه من كتاب التيسير لأبي عمرو إلى باب الفتح والإمالة، وناوَلَنِيه. وقرأت أيضا عليه أبْعاضَ كُتُبٍ من القراءات والعربية، وتناولتها منه. وأجاز لي غير مرَّةٍ إجازةً عامة» [1].

- إثبات المصنف روايتَه عن أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي، رفيقُ شيخيه: الهيثم بن جعفر السكوني ومرج الكحل، في قوله: «أنشدني الأديب أبو البحر صفوان بن إدريس -رحمه الله- للأديب أبي عبد الله بن الرفاء من أهل بلنسية، الأبيات...» [2]. وقد كانت وفاة صفوان بن إدريس سنة 598هـ، وأبو الحسن الرعيني في سنّ السادسة في بلده إشبيلية حيث أخذ عن الهيثم بن جعفر شاعر إشبيلية، وكان صفوان يتَرَدَّدُ عليه في ذلك العهد، فأمكَنَ أن يَرويَ عنه في مجلس شيخه دون أن يُجيزَه. مع العلم أنّ ما أنشدَه عنه في المخطوط لا يعدو تسعة أبيات للرُّصافي البلنسي، فضلاً عما نقله الرعيني من كتاب صفوان الموسوم بـ"زاد المسافر"، الذي يظهر أنه لم يسمعه من صفوان؛ بل كان يأخذ من أصل بين يديه.

- في ترجمة الفقيه الأديب سهل بن مالك، قال المصنِّف: «فغرناطة "اليومَ" حدَقَةٌ هو إنسانُها، وحديقة هو رَيحانُها، وهالةٌ هو بَدْرُها، وكِمامَةٌ هو نَوْرُها» [3]. وهو نظير الوصف الذي حلاَّه به الرُّعيني في "البرنامج" حين قال: «سَمَا قدْرُه في الأكابر وارتفَع، مَفْخَرةُ بَلَدِه وسِواه، ورَوْضُ عِلْمٍ وأدب تَكْلَفُ به النفوس وتَهْواه» [4]. ويُستفاد من حديث المصنف عن سهل بن مالك في "المخطوط" أنّه قطبُ رحَى العلوم والمعارف في غرناطة، وهو حُكْمٌ لا يتأتَّى إلا لمن عاصرَه ولَقِيَه وأخذ عنه. كما يستفاد من ذلك أن الكتابَ نفسَه قد جُمِع، وسهلُ بن مالك مازال حيا في غرناطة. وتلك حال الرُّعيني مع شيخه سهل بن مالك، فقد أثبت في "البرنامج" أنه أخذ عنه علوماً جمّة،وأنه أجاز له «جميعَ ما يحمله مع جميع ما ألَّفَ نظما ونثراً غير مرّة، وسَمِعَ كثيرا من ذلك من لفظه، وأخرج إليه رقاع شعره وترسيله، وعَرَضَ

---

[1]- البرنامج، ص. 22.

[2]- المخطوط، ص. 46.

[3]- المخطوط، ص. 90.

[4]- البرنامج، ص. 59.

عليه معظم كلامه، وتَكَرَّرَ لقاؤُه له بإشبيلية مراراً، وبغرناطةَ مُدَّةَ سُكناه بها، وقبلَه، وبِمُرْسيةَ في أيام سكناه بها في المحنة التي لحقته مدةَ ابن هود» [1].

هذه إذن جملة الحجج التي بَنَيْنا عليها تحقيق نسبة هذا الكتاب إلى الرعيني، وقوَّت لدينا الاعتقاد بأنه هو الكتاب الذي أشار إليه في آخر "برنامجه" متحدِّثاً عن نصوص عددٍ من أدباء وفُضلاء العصر الذين ربطتْه بهم صلةٌ: «وقد خاطبني جماعة من الشعراء والكتّاب، وجرت بيني وبينهم مراجعات، وتردَّدَتْ إلَيَّ منهم مقطَّعات؛ وغير هذا المجموع أولى بها. وسَتَرِدُ -إن شاء الله تعالى مَسُوقةً سَوْقَ العِراب مع أشكالها ونظائرها، مَنْسوقَةً على تَرائب الآداب أسلاكُ جواهِرِها، في الكتاب الكبير الذي بين يدَيَّ، الذي سميته: "جنى الأزاهر النضيرة، وسنى الزواهر المُنيرة، في صلة المطمح والذخيرة، مما وَلَّدَتْه الخواطر من المحاسن في هذه المدة الأخيرة» [2].

[1]- نفسه، ص. 61.

[2]- البرنامج، ص. 214.

التعليق على النص المحقق: مفهومه وضوابطه

النص اللغوي نموذجا

د. حسن عماري

كلية الآداب ظهر المهراز، فاس

تأتي هذه المشاركة في سياق علمي يؤطر عمل مختبر الدراسات المصطلحية والأبحاث النصية، الذي يهدف بالأساس إلى إفادة الباحثين والطلبة بمعايير الضبط النصي وبأدوات إقامة المتون التي تراد للتأسيس العلمي الحقيقي داخل الجامعة وخارجها. وقد رغبت تبعا لذلك في الإدلاء بورقة تنخرط في هذا الاهتمام، وتركز على إحدى الجزئيات في عمل المحقق للنصوص المخطوطة، يتعلق الأمر بالتعليق على النص من حيث مفهومُه وإجراءاتُه الضامنةُ لمكانته التأسيسية من بنية النص المحقق، وسأهتدي في ذلك بالمحاور الآتية:

- التعليق في اللغة والاصطلاح.
- أهميته.
- إجراءاته.
- أنواعه.
- ضوابطه.

I. التعليق في اللغة والاصطلاح:

يقول ابن فارس (395هـ):

«العين واللام والقاف أصل كبير صحيح يرجع إلى معنى واحد، وهو أن يناط الشيء بالشيء العالي. وقد علق به إذا لزمه. قال الخليل: العلق أن ينشِب الشيء بالشيء.»[1]

1 - مقاييس اللغة: علق.

ويقول ابن منظور (711ه): «ونَشِبَ الشيءُ في الشيءِ بالكسر نشْباً ونُشُوبا، لم يَنْفُذْ. قال ابن الأعرابي: العلقة الشيء القليل ما كان» [1]

من خلال هذا الجذر اللغوي الذي اشتقت منه كلمة "تعليق" نستنتج أن مجاري الكلمة تصب في تعلق شيء أدنى بشيء أعلا منه، وأخْذِهِ منه ما يَلْزم، وبالقَدر الذي يفي بالغَرض من غيرِ إطَالة ولا اجتِزَاء، وذلك شأن ما عُلِّقَ على هامش متن الكتاب من معلومات، وما يجري هذا المجرى، والجمع تعاليق.

أما في الاصطلاح، فلتعريف التعليق لا بد أولا من أن نعرج على تحديد مفهوم التحقيق؛ لأن بين المفهومين عموما وخصوصا، إذا كان التحقيق يهدف إلى إخراج نص صحيح مطابق لما كتبه مؤلفه، فإن التعليق هو توثيق نسبته ومادته، والعناية بضبطه وتوضيح دلالاته التي قصدها المؤلف. يقول بشار عواد معروف: «فالغاية من التعليق يجب أن تتجه نحو خدمة ضبط النص وتوضيحه، ودَفْعِ كل إيهَام عنه، ورفع كل غموض وإبهام فيه» [2]

II. أهمية التعليق:

ومما قيل عن أهميتها ما رواه الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار: «وحلية الدفاتر الحلق في حواشيها. والمغاربة يقولون: الدرر في الطرر.

وقيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته: ما تشتهي؟ قال: النظر في حواشي الكتب.» [3]

تتجلى أهمية التعليق من خلال ما تقدم، في كونه وسيلة ل:

- خدمةِ النص بتوثيق نسبته ومادته وضبطه وتوضيحه؛
- دفعِ كل إيهام عنه؛
- رفعِ كل غموض وإبهام عنه.

1- لسان العرب: علق.

2- ضبط النص والتعليق عليه: 7.

3- ربيع الأبرار: 41/4.

- بيانِ القيمة العلمية للمادة التي يعالجها المؤلف، وذلك بربطها بمن سبقه بغية الوقوف عما فيها من جدة أو تقليد، وتتبع من تداولها إما أخذا بها أو اعتراضا عليها.

III. إجراءات التعليق:

للتعليق على النص موضوع التحقيق، يتعين علينا الأخذ بجملة من الأمور:

1- القراءة المتأنية والمتكررة للنص؛ للاطلاع على مختلف المواد والقضايا المثارة فيه، من أجل إعداد المواد المناسبة المعينة على فهمه، وتسطير منهج سليم وناجع لمعالجته، يقول د. عبد السلام هارون: « وأذكر أنني قبل تحقيقي لكتاب الحيوان هالني تنوع المعارف التي يشملها هذا الكتاب، ووجدت أني لو خَبَطْتُ على غير هُدَى لم أتمكن من إقامة نصه على الوجه الذي أبتغي، فوضعت لنفسي منهجا بعد قراءتي للكتاب سبع مرات، منها ستُّ مرات اقتضاها معارضتي لكل مخطوط على حدة، وفي المرة السابعة كنت أقرأه لتنسيق فقاره وتبويب فصوله، فكنت بذلك واعيا لكثير مما ورد فيه »[1]

2- المعرفة الواسعة بمادة النص، وتتمثل في ضرورة معرفة المحقق بمادة النص وبأساليب اللغة العربية ومصادرها.

3- المعرفة المحيطة بالنص، وتشمل كتب المؤلف المطبوعة وما تم التوصل إليه من كتبه المخطوطة، والاطلاع على طبيعة تكوينه من خلال التعرف على شيوخه وتلامذته.

4- المقابلة بين النسخ، يقول القاضي عياض: « هذا مما يُضطر إلى إتقانه ومعرفته وتمييزه وإلا تسودت الصحف، وأخلطت الروايات، ولم يَحِلَّ صاحبها بطائل»[2]

5- الحرص على التأدب مع العلماء والدارسين وعدم التشهير بهم، يقول بشار

1- تحقيق النصوص ونشرها. ص: 63_64.

2- الإلماع: 189.

عواد معروف: « إن التعليقات تكشف عن شخصية المحقق ومدى التزامه بالمنهج العلمي والتأدب مع زملائه العلماء والدارسين، وهي بعد كل الذي ذكرنا تقدم انطباعا عن مكانته العلمية.» [1]

IV. **أنواع التعليقات:**

1- من حيث البنية: من خلال استقراءنا لمعظم ما تم إخراجه من النصوص، نجد نوعين من التعليقات:

أ- تعليقات في طبقة واحدة، يمزج فيها المحقق بين إثبات ما بين النسخ من اختلافات أثناء المقابلة وبين التخريجات والتوضيحات والتعليقات .

ب- تعليقات في طبقتين، تفصل هامش المقابلة عن هامش التخريجات والتوضيحات والتعليقات. وهذا النوع مفيد أكثر في النصوص التي لم يعثر فيها على النسخة الأصلية للمؤلف؛ لأن تعدد النسخ وتباين الفروق فيما بينها يضطرك لضبط كل الفروق الحاصلة فيما بينها في طبقة واحدة، مجزأة على جزأين أو ثلاثة أجزاء، حتى لا تطغى على الأجزاء المخصصة للمتن والأخرى المخصصة للتعليق والتخريج. غير أن هذا النوع من التعليقات غالبا ما تحول صعوبات تقنية دون اللجوء إليه.

2- من حيث القدر والمحتوى: نميز هنا كذلك بين نماذج ثلاثة؛ أحدها اقتصر على إخراج النص مصححا مجردا من كل تعليق. والثاني سلك مسلكا وسطا اكتفى فيه ببعض الإشارات. والثالث ذيل النص بكل ما من شأنه أن يفيد القارئ، فقابل وخرج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال وخرج الشواهد الشعرية بالكشف عن أسماء أصحابها وذكر مختلف رواياتها وشرح غريبها، وشرح الغامض والأعجمي من الألفاظ، وعرف بالأعلام، وخرج النصوص وربطها بأصحابها وقابلها بأصولها، وربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض، وعلق على مـــا فيه من جدة وابتكـــار أو وهْم، موضحا له أو مستدركا عليه أو منتقدا له.

1- ضبط النص والتعليق عليه: 31.

٧. ضوابط التعليق:

لذا سنأتي على ذكر ما يمكن الالتزام به في كل عنصر على حدة، ونستحضر أساسا ما يتعين الأخذ به في تحقيق النص اللغوي ؛ لكون دائرة اشتغالي العلمي أقرب إلى هذا المبحث من غيره، فمما ينبغي أن يتضمنه التعليق، نذكر:

أ- ضوابط المقابلة بين النسخ:

وهي الخطوة الأولى والمهمة التي يتعين على المحقق القيام بها، ولا غنى له عنها، بعد تجميعه للنسخ، عن الأخفش قال: « إذا نُسخ الكتابُ ولم يُعارض، ثم نسخ ولم يُعارض، خرج أعجميا.» [1]

يقول القاضي عياض(544ه): « وأما مقابلة النسخة بأصل السماع ومعارضتُها به فَمُتَعِيَّنَةٌ لا بد منها...فليقابل نسخته من الأصل بنفسه حرفا حرفا حتى يكون على يقين وثقة من معارضتها به ومطابقتها له، ولا تنخدع في الاعتماد على نسخ الثقة العارف دون مقابلة؛ نعم ولا على نسخ نفسه بيده ما لم يقابل ويصحح؛ فإن الفكرَ يذهب، والقلبَ يسهو، والنظرَ يزيغ، والقلم يطغى.» [2]

وعن شروط هذه المرحلة وأهميتها يقول القاضي عياض في باب "ضبط اختلاف الروايات والعمل في ذلك": « هذا ما يضطر إلى إتقانه ومعرفته وتمييزه، وإلا تسودت الصحف وأخلطت الروايات.» وأول ما ينبغي أن يسفر عنه التمييز انطلاقا من منطوق القاضي عياض الاهتداء إلى النسخة الأم[3]، يقول: «وأولى ذلك أن يكون

1- مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح. عائشة عبد الرحمن. دار المعارف: 375-376.

2- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض بن موسى اليحصبي تحقيق السيد أحمد صقر دار التراث القاهرة المكتبة العتيقة تونس ط1970/1 ص: 158-160.

3- الاهتداء إلى النسخة الأم يحتكم فيه إلى جملة من المعايير، تتدرج على الشكل الآتي: أن تكون بخط المؤلف، أو بخط أحد تلامذته، أو قرأت على المؤلف، أومقابلة على نسخة بخط المؤلف، أو بخط أحدالعلماء، شريطة أن تكون سالمة من السقط والتصحيف والتحريف، وما لم تتبين لنا هذه المعايير، حينها نحتكم إلى الصحة مع التمام، ومن الباحثين من يرى غير الذي أراه فيلجأ إلى التلفيق أو التوفيق بين النسخ .

الأم على رواية مختصة»، ليعرض ما سواها من النسخ عليها، إذ يقول: «ثم ما كان من زيادة الأخرى ألحقت، أو من نقص أعلم عليها، أو من خلاف خرج في الحواشي، وأعلم على ذلك كله بعلامة صاحبه من اسمه أو حرف منه للاختصار، لا سيما مع كثرة الخلاف والعلامات»

فالمقابلة وحدها هي التي تسمح لنا بالتدخل في النص لترميم أو إصلاح ما سقط أو تعذرت قراءته في النسخة الأم، شرط الإعلام على ذلك كله في الهامش باستعمال رموز معينة يشار إليها في مقدمة الكتاب. وما من فرق أو زيادة أو تصويب خارج عن النسخ المعتمدة فمحله الهامش، وتراعى في ذلك الأمور الضرورية التي قد يتغير معها المعنى، أما سوى ذلك مما يتكرر بشكل لافت، فيتم التنبيه عليه في المقدمة كالأخطاء الإملائية أو رسم بعض الكلمات أو الأعلام بشكل مخالف لما هي عليه اليوم، أو التقديم والتأخير الذي لا يخل بالمعنى....

ب- **ضوابط تخريج الآيات القرآنية :**

تقتضي هذه الخطوة العودة إلى المعاجم المفهرسة للقرآن الكريم[1]، لتدلنا على اسم السورة ورقم الآية، والتأكد من صحتها، وإن تأكد لدينا خطأها أشرنا إليه في الهامش، وعمدنا إلى تصحيحه في المتن " لما للقرآن من قدسية توجب الحذر الشديد"[2] وإذا اقتضى سياق الاستشهاد بها ذكر ما قبلها أو ما بعدها في الهامش فلا بأس من ذلك خدمة للقارئ، وإذا كان سياق ورودها يستدعي تفسيرها فيقتصر على ما يفي بالغرض، أما إذا تعلق الأمر بقراءة من القراءات فيتعين الرجوع إلى كتب توثيق القراءات[3] للتأكد من كونها من القراءات المعتمدة.

ت- **ضوابط تخريج الأحاديث الشريفة:**

تتم عملية تخريج الأحاديث بالاستعانة بالمعاجم المفهرسة لألفاظه[4]، فنبدأ

1- منهج تحقيق النصوص ونشرها، د.نوري حمودي القيسي ود. سامي مكي الغاني.ص:81.

2- المصدر نفسه، ص:81.

3- المصدر نفسه، ص:81.

4- المصدر نفسه، ص:81.

بتخريجه من الكتب الصحاح[1] التي يوافق لفظها لفظ المؤلف، فإن تعذر ذلك أشرنا إلى موطن الرواية الموافق لفظها للفظ المؤلف، فإن لم نجده أبقينا الحديث الشريف على لفظه في المتن مادام يؤدي المعنى نفسه الذي ورد في المتون الصحاح، وما لم يكن كذلك فينبغي التأكد من صحة كونه حديثا. ولا بأس من إتمامه إن اقتضت الضرورة ذلك، وإثبات درجة صحته أو ضعفه أو استحسانه، حتى يكون الباحث والمستفيد على علم بذلك.

ث- **ضوابط تخريج الأمثال:**

هي الأخرى ألف فيها أسلافنا ما يهون علينا أمر تخريجها، إلا أن ما ينبغي على المحقق هو إثباتها كما وردت في النص دون تبديل للفظها بزيادة أو نقص، وإن اقتضت الضرورة شيئا من ذلك فمتسعه الهامش.

ج- **ضوابط تخريج الأشعار والأرجاز:**

يمثل الشعر في الدرس اللغوي العربي موردا جوهريا لاستنباط القواعد النحوية، فالبيت منه لم يعد فقط بيتا شعريا، بقدر ما صار شاهدا نحويا، لذا يتعين اتباع الخطوات الآتية من أجل ضبطه والتأكد من صحته، وهي:

- ✓ نسبته، أو تأكيد صحة نسبته إلى صاحبه إن نسبه المؤلف، وذلك بعزوه إلى ديوانه أو المختارات الشعرية المشهورة. وإن اختلف في نسبته ذكرنا ذلك في الهامش.
- ✓ إتمام البيت أو الشطر في الهامش إن اقتصر المؤلف على محل الشاهد فيه فقط.
- ✓ تخريجه من الديوان أولا ثم كتب النحو واللغة تخريجا يتطلب استحضار المشهور من ذلك، أو ما له صلة بمتن الكتاب المحقق، من ذلك مثلا كتاب الجمل للزجاجي وصلته بالشروح التي ألفت عن الكتاب وشروحه. مع مراعاة الترتيب الزمني في ذلك.

1- المصدر نفسه، ص:81.

✓ شرح الغريب من الألفاظ ما لم يتول المؤلف ذلك بنفسه؛ لأن الغريب جزء لا يتجزأ من إقامة المعنى الذي يقتضيه سياق ورود الشاهد وبالتالي فهو مطية لتحديد موطن الشاهد فيه.

✓ ذكر ما قبل البيت أو مابعده أو هما معا، إن تطلب الأمر ذلك.

✓ ذكر محل الشاهد في البيت، إن اقتضت الضرورة ذلك.

ح- **ضوابط التعريف بالأعلام :**

غالبا ما يتضمن المتن أعلاما بشرية وأخرى جغرافية، فثقافة المحقق ما لم تكن صلتها وطيدة بالفن موضوع التحقيق لا محالة ستعترضه صعوبات في قراءة وضبط مثل هذه الألفاظ؛ لكونها لا تخضع للسياق. هذا هو الشرط الأول والأساسي، أما ما يليه، فنذكر من ذلك:

✓ التأكد من صحة المشكل منها بالرجوع إلى كتب التراجم والكنى والألقاب والمؤتلف والمختلف، ومعاجم البلدان، وغيرها.

✓ الترجمة للمغمور منها، أو ما له صلة وطيدة بالمتن، أو ما يظن أنه سيختلط بغيره، كالأعلام التي تذكر بالكنية فقط مثل أبي القاسم وأبي عمرو.

✓ تحري الإيجاز والاختصار؛ وذلك بذكر الاسم والنسب وما اشتهر به من عِلم ومن مؤلفات، ومذهبه وسنة وفاته.

✓ الرجوع في الترجمة إلى الكتب المتخصصة، فالشعراء يترجم لهم من كتب طبقات الشعراء واللغويين من طبقات اللغويين والنحاة، والقراء من كتب طبقات القراء وهلم جرا.

خ- **ضوابط تخريج النقول وأقوال العلماء:**

وتتم هذه العملية ب:

✓ عزو جميع الأقوال التي ذكرها المؤلف إلى مظانها الأصلية، سواء تلك التي ذكر مصدرها أو غيرها، وذلك للتأكد من صحتها. وهي عملية تقتضي الإحاطة بمختلف المصادر التي ينقل عنها المؤلف أو يحفظها.

- ✓ الإشارة إلى الفروق بين نص المؤلف والكتاب المطبوع في الهامش؛ فقد يكون سبب ذلك اعتماد المؤلف نسخة غير التي توفرت لمحقق الكتاب المطبوع.
- ✓ الإشارة إلى النصوص التي نقلها عنه غيره، لأن هذه العملية تؤكد صحة النص وصحة نسبته إلى صاحبه.

د- شرح الغريب من لألفاظ والدخيل والمصطلحات العلمية:

ومما يقتضيه هذا الأمر الاحتكام إلى السياق في شرح الغريب لاختيار المعنى الصحيح الذي تؤديه الكلمة، وذلك بالرجوع إلى المعاجم الأصيلة؛ مثل مقاييس اللغة لابن فارس وأساس البلاغة للزمخشري ولسان العرب لابن منظور وغيرها. وقد يقتضي الأمر أحيانا الرجوع إلى ملحقات المعاجم العربية ودواوين الشعر في شرح وفهم بعض الغريب. أما المصطلحات العلمية فينبغي أن يراعى في تحديد مفهومها الحقل/ الفن الذي وظفت فيه، كما تلزم المحقق الدراية بالتطور الذي عرفته تلك المصطلحات عبر العصور، فينبه على ذلك في الهامش.

ذ- التعليق على آراء المؤلف، وربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض:

ويتم ذلك عن طريق بيان القصد من كلامه، استنادا على ما ورد في الكتاب أو ما سيرد فيه، أو بالرجوع إلى مؤلفاته الأخرى، لكون المحقق أدرى بالمؤلّف وبمادة الكتاب من غيره، وقد يلجأ المحقق إلى استحضار آراء وأقوال من سبقه إلى الاطلاع على متن المؤلف، فيحكم فيها رأيه إما بتفنيدها أو ردها، مع الحرص على الإيجاز وعدم الإخلال بمغزى التعليق، هذا فضلا عن عدم استعمال العبارات التي تقدح في المؤلف أو في غيره، من قبيل التنقيص من منزلته أو تخطئته....

وعن ربط أجزاء لكتاب بعضها ببعض، يقو عبد السلام هارون: «ومما يقتضيه التعليق ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض، فقد ترد إشارة لاحقة إلى لفظة سابقة في الكتاب، فمن المستحسن كذلك أن يشير المحقق إلى الصفحات الماضية، وهو إن استطاع التنبيه في الصفحات السابقة إلى ما سيأتي في اللاحقـة،

جلب بذلك إلى القارئ كثيرا من الفائدة، وأضاء الكتاب بعضه ببعض.» [1]

VI. خلاصة واستنتاج:

وفي الختام أرجو أن أكون قد لامست جوانب من ضوابط التعليق على النص المحقق، استنادا في ذلك على ما راكمته من خلال:

- اطلاعي على ما ألف في باب مناهج التحقيق.
- واحتكاكي بنصوص لغوية مخطوطة، والعمل على تحقيق متنين منها.

لكن على الرغم من كل هذا وغيره، فإن عملية التعليق تحفها مخاطر ومنزلقات؛ ذلك أن الأمر يتعلق بنص تراثي مخطوط، متشعب؛ تفرض عليك مواده فحصا وتمحيصا وترجيحا، منفتح على مختلف العلوم والمعارف. من هنا نخلص إلى قول ما قال به د.بشار عواد معروف: «فإن التعليق على النص مسؤولية تاريخية وأدبية وعلمية في آن واحد، لذا يتوجب على المحقق أن يكون في غاية الالتزام عند التعليق، يحسب لكل كلمة وجملة حسابها وقيمتها العلمية، فلا يجعل من الحواشي مكانا لإظهار معرفته من غير موضوع النص وتصحيحه وفائدته، ويجتهد دائما أن تكون تعليقاته...جامعة نافعة مختصرة غاية الاختصار شرط أن تكون مجزية دالة في الوقت نفسه .» [2]

المصادر والمراجع

- **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1970.
- **تحقيق النصوص ونشرها**، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1998.

1- تحقيق النصوص ونشرها. ص: 81.

2- ضبط النص والتعليق عليه. ص: 31.

- **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت. 548ه)، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1992.
- **ضبط النص والتعليق عليه**، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، 1982.
- **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- **مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح**، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)، دار المعارف.
- **منهج تحقيق النصوص ونشرها**، نوري حمودي القيسي ود. سامي مكي الغاني، مطبعة المعارف، بغداد، 1970.

قضايا تعريف المصطلحات البلاغية

في الكشاف للزمخشري (ت: 538هـ) والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (745هـ).

د. رشيد سلاوي

كلية الآداب سايس- فاس

سنحاول خوض غمار هذا البحث مستفيدين من بعض أركان منهج الدراسة المصطلحية[1] الذي يمكننا من معاينة استعمال المصطلحات البلاغية بطرق مختلفة في الخطاب التفسيري، والكشف عن واقعها، وإبراز أهميتها في بلورة الآراء البلاغية.

ولتحقيق هذه الغاية استندنا إلى أهم ركن من أركان منهج الدراسة المصطلحية ألا وهو ركن الإحصاء، حيث قمنا بإحصاء الاستعمالات المصطلحية[2]، ألفاظا، ومفاهيم وتراكيب، وقضايا علمية مندرجة تحتها، إحصاء تاما حيثما وردت، وكيفما وردت، وبأي معنى وردت في تفسير: الكشاف للزمخشري(ت: 538هـ)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت745هـ).

وقد مكننا هذا المنهج من الوقوف على ملامح منهج الزمخشري وأبي حيان في استعمال المصطلح معرفا أو غير معرف، ومكننا من تبين هذه الملامح من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف بعض المصطلحات:

لقد حاول المفسران وضع تعريفات علمية دقيقة للمصطلحات البلاغية

---

[1] - انظر تفاصيل هذا المنهج في كتاب: "مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ"، الدكتور الشاهد البوشيخي (ط: دار القلم)ص:2.

[2] - بالقراءة المتأنية لجميع نصوص التفسير ورقيا، ورقميا باستخدام برنامج(الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم) وهو برنامج حاسوبي يضم مائة تفسير مرتبة تاريخيا تبعا لكل آية من القرآن الكريم....

التامة الاصطلاحية، وغالبا ما كانا يُرْدِفانها بأمثلة وشواهد تعين على فهمها، وتبين معناها، ولهما في تعريف المصطلحات رغم قلتها طرق مختلفة تخضع لقاعدة مطردة أو منهج معين، وهذه الطرق هي:

1: التدقيق في الاستعمال اللغوي والاصطلاحي: فالزمخشري مثلا يلجأ إلى هذه الطريقة عندما تكون للفظ علاقة بالمعنى الاصطلاحي، فيذكر أصله اللغوي واشتقاقه ومعناه الاصطلاحي. ومصطلح المثل، هو المصطلح الوحيد في الكشاف الذي وقف معه الزمخشري هذه الوقفة. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾[1]: «لمّا جاء بحقيقة صفتهم عقبها **بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان. ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنّظائر شأن ليس بالخفيّ في إبراز خبِيّات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق حتى تُريك المُتخيَّل في صورة المُحقَّق، والمتوهّم في معرض المتيقّن والغائب كأنه مشاهد. وفيه تبكيتٌ للخصم الألدّ، وقمع لسورة الجامع الأبيّ** ولأمر مّا أكثر الله في كتابه المبين[2] وفي سائر كتبه **أمثالَه**، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء، قال الله تعالى (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ)[3] ومن سور الإنجيل سورة الأمثال. **والمثل في أصل كلامهم: بمعنى المِثل، وهو النظير. يقال مَثَل ومِثْل ومَثِيل، كشِبْهٍ وشَبَهٍ وشَبِيهٍ. ثم قيل للقول السّائر المُمثَّل مَضْرِبُه بمورده: مثلٌ. ولم يضربوا مَثَلاً، ولا رأوه أهلا للتّسيير، ولا جديرا**

---

[1] - الآية 17 من سورة البقرة.

[2]- هناك عدة آيات ذكرها الزمخشري جاء أسلوبها على طريق المثل من ذلك الآيات الآتية: 5، 7، 17، 242، 265 من سورة البقرة، و50 من سورة الأنعام و40 من سورة يوسف، و9 من سورة إبراهيم و 112 من سورة النحل، و61، 94 من سورة الأنبياء و4، 11 من سورة الحج، و19 من سورة لقمان، وغيرها.

[3]- الآية 43 من سورة العنكبوت.

بالتّداول والقبول، إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه. ومن ثمّ حُوفظ عليه وحُمي من التّغيير. »[1].

وأما **أبو حيان** فلم يخرج عن صنيع الزمخشري، فقد جمع هو أيضا بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي في مصطلح واحد في تفسيره، هو مصطلح "المثل". قال في تفسير الآية السابقة الذكر، موردا كلام الزمخشري دون ذكر اسمه، ومتصرفا فيه: "المثل في أصل كلام العرب بمعنى المِثل والمَثيل، كشِبْهٍ وشَبَهٍ وشَبِيهٍ، وهو النظير، ويجمع المِثْل والمَثَل على أَمْثال. قال اليزيدي: الأمثال: الأشباه، وأصل المثل الوصف، هذا مثل كذا، أي وصفه مساو لوصف الآخر بوجه من الوجوه. والمثل: **القول السائر الذي فيه غرابة من بعض الوجوه**. وقيل: المثل، ذكر وصف ظاهر محسوس وغير محسوس، يستدل به على وصف مشابه له من بعض الوجوه، فيه نوع من الخفاء ليصير في الذهن مساويا للأول في الظهور من وجه دون وجه. والمقصود من ذكر المثل أنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه، لأن الغرض من ضرب المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقا للعقل"[2].

2 . **وضع تعريف للمصطلح دون ذكر أصله اللغوي مع الحديث عن وظائفه وأهدافه ومقاصده:**

ومن أمثلة ذلك مصطلح الالتفات: وهو عند الزمخشري: نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم. وتكون فائدته التأثير في السامع واستفتاح الآذان للاستماع وهش الأنفس للقبول[3]. قال

---

[1]- الكشاف: 79/1.

[2]- البحر المحيط: 207/1.

[3]- وقد تبنى السكاكي هذا المذهب. فالأمثلة التي ساقها تدل على استفادته من الزمخشري. بل نجد أيضا بعض كلام الزمخشري متفرقا في مبحثه في الالتفات. انظر مفتاح العلوم: 199 – 205.

الزمخشري مفسرا قوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾[1]: «فإن قلتَ: **لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلتُ: هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم**، كقوله تعالى: (حتّى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم)[2]. وقوله تعالى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ)[3]. **وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات**[4]: [متقارب]

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمَدِ *** ونام الخَلِيُّ ولمْ تَرْقُــدِ

وباتَ وباتَتْ لهُ ليلةٌ *** كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ الأَرْمَـدِ

وذلك من نبإٍ جاءني *** وخُبِّرْتُهُ عن أبي الأَسْـودِ[5]

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرّفهم فيه، ولأن الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطريّة لنشاط السّامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختصّ مواقعه بفوائد»[6].

لقد تحدث أبو حيان بالطريقة نفسها، **عن وظائف الالتفات وشروطه وأهدافه ومقاصده**، غير أنه لم يكتف بذلك، فختم كلامه بنقض كلام الزمخشري وتخطئته فيما ذهب إليه، يستفاد ذلك من قوله :"و(إياك) **التفات**، لأنه انتقال من الغيبة إذ لو جرى على نسق واحد لكان إياه، **والانتقال** من فنون البلاغة، وهو

---

[1]- الآيتان 4 – 5 من سورة الفاتحة.

[2]- بعض الآية 22 من سورة يونس.

[3]- بعض الآية 9 من سورة فاطر.

[4]- ديوانه: 185.

[5]- الأثمَد كأحمد، وقد تضم ميمه، وقد يروى بكسرها: اسم موضع، والعائر اسم جامد يطلق على قذى تدمع منه العين، وعلى الرمد وعلى كل ما أعل العين، وأبو الأسود: كنية صاحب الشاعر الذي يرثيه.

[6]- الكشاف: 23/1 – 24. انظر أيضا الكشاف: 95/1.

الانتقال من الغيبة للخطاب أو التكلم، ومن الخطاب للغيبة أو التكلم، ومن التكلم للغيبة أو الخطاب. والغيبة تارة تكون بالظاهر، وتارة بالمضمر، **وشرطه**: أن يكون المدلول واحدا، ألا ترى أن المخاطب بإياك هو الله تعالى؟ وقالوا **فائدة هذا الالتفات إظهار الملكة في الكلام، والاقتدار على التصرف فيه**. وقد ذكر بعضهم مزيدا على هذا، وهو إظهار فائدة تخص كل موضع موضع، ونتكلم على ذلك حيث يقع لنا منه شيء، **وفائدته** في إياك نعبد أنه لما ذكر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة والملك والملك لليوم المذكور، أقبل الحامد مخبرا بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره، أنه وغيره يعبده ويخضع له. وكذلك أتى بالنون التي تكون له ولغيره، فكما أن الحمد يستغرق الحامدين، كذلك العبادة تستغرق المتكلم وغيره. ونظير هذا أنك تذكر شخصا متصفا بأوصاف جليلة، مخبرا عنه إخبار الغائب، ويكون ذلك الشخص حاضرا معك، فتقول له: إياك أقصد، فيكون في هذا الخطاب من التلطف على **بلوغ المقصود** ما لا يكون في لفظ إياه، ولأنه ذكر ذلك توطئة للدعاء في قوله اهدنا... ودعوى الزمخشري في أبيات امرئ القيس الثلاثة أن فيه ثلاثة التفاتات غير صحيح، بل هما التفاتان..."[1].

3 ــ **تعريف المصطلح والتفريق بينه وبين مصطلح آخر**:قال الزمخشري[2] مفرقا بين الكناية والتعريض: «فإن قلتَ: أي فرق بين **الكناية والتّعريض**؟ قلت: الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك: طويل النجاد والحمائل لطول القامة[3] وكثير الرماد للمِضْياف، **والتعريض أن تذكر شيئا تدلّ به على شيء لم تذكره، كما يقول المُحتاج للمُحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم**. ولذلك قالوا: [طويل].

---

1 - البحر المحيط: 141/1- 142.

[2]- ذكر ذلك وهو بصدد تفسير الآية 235 من سورة البقرة.

[3]- كذا في الأصل ولعله: (الطويل القامة).

وحَسْبُكَ بالتَّسْلِيم منّي تَقَاضِيَا[1]

وكأنه إمالة الكلام إلى عَرَضٍ يدلّ على الغرض، ويسمّى التّلويح لأنه يلوّح منه ما يريده»[2].

وقد تم رصد هذه الظاهرة أيضا عند أبي حيان في تفسيره، رغم قلتها، ومن ذلك قوله: "قرأ الجمهور: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ)، بالرفع وهو على إضمار مبتدأ تقديره هم صم، وهي أخبار متباينة في اللفظ والدلالة الوضعية، لكنها في موضع خبر واحد، إذ يؤول معناها كلها إلى عدم قبولهم الحق وهم سمعاء الآذان، فصح الألسن، بصراء الأعين، لكنهم لم يصيخوا إلى الحق ولا نطقت به ألسنتهم، ولا تلمحوا أنوار الهداية، وصفوا بما وصفوا من الصمم والبكم والعمى، وقد سمع عن العرب لهذا نظائر...وهذا من **التشبيه البليغ** عند المحققين، **وليس من باب الاستعارة، لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون. والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه، صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام...**" [3].

نستخلص مما تقدم أن منهج التعريف عند المفسِّرَيْن يرتكز على ضوابط محددة أساسها:

- الدقة في التعريف، ومردها إلى التحكم في صياغة التعريف طولا وقصرا، واختصار العبارة، واختيار اللفظ الواضح البعيد عن التكلف والاستغلاق.

- بيان الفروق الدقيقة بين المصطلحات المتقاربة الدلالة وتمييز بعضها من بعض.

- التمثيل والاستشهاد زيادة في البيان والإيضاح.

---

[1]- أول البيت: [أروح لِتَسْليم عليكِ وأَغْتَدِي] وهو من الأبيات المنسوبة لتوبة بن الحُمَيِّر. انظر ديوانه: 86.

[2]- الكشاف: 372/1 – 373.

[3] - الكشاف: 216/1.

- عدم التسليم بحدود الآخرين، ونقد تعريفاتهم.

المبحث الثاني: عدم تعريف المصطلحات:

لَمْ يُعْنَ الزمخشري وأبو حيان بتعريف عدد من المصطلحات التي استعملاها في تفسيريهما، ولعل ذلك راجع إلى شهرة هذه المصطلحات وكثرة تداولها بمفاهيم محددة أصبحت في حكم المعلوم الذي لا يسأل عنه بين سابقي الزمخشري وأبي حيان من البلاغيين، أو إلى سهولة دلالاتها ووضوحها في الاستعمال، أو لكونها توظف في سياقات تساعد على إبراز مفاهيمها والكشف عن بعض خصوصيتها.

لكن الملاحظ أن هناك عددا من المصطلحات التي كان يستحسن تعريفها، غير أنها لم تحظ عندهما بتعريف. ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة عملهما في التفسير الذي يعتبر عملا تطبيقيا يرتكز على الشرح والتفسير والتحليل والتأويل، وليس عمليا تنظيريا يهتم فيه بوضع الحدود والقواعد والضوابط.

إن استعمال الزمخشري وأبي حيان لعدد من المصطلحات دون تعريف اتخذ له صورا مختلفة يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- الاعتماد على السياق في فهم مدلول المصطلح غير المعرف:

ويظهر ذلك في عدة نصوص يأتي فيها المصطلح دالا على مفهوم ما، يفهم من السياق، وكأن مهمة تحديد دلالة المصطلح وبيان مفهومه أنيطت بالسياق نفسه لا بغيره.

غير أن عدم تعريف المصطلح والاعتماد الكلي على السياق في فهم دلالة اللفظ المستعمل يطرح إشكالا كبيرا يتمثل في عدم دقة ما يفهم من السياق، والخلط بين المفاهيم المختلفة التي قد تندرج تحت مسمى واحد، فمصطلح "المجاز" مثلا، حينما يستعمل في سياق معين، لا يعني أنه يدل على الخاص المعروف للمجاز، ولكنه قد يدل أيضا على مفهوم "الاستعارة" أو "التمثيل". ومصطلح "البلاغة" حينما يطلق، قد يراد به معناه الاصطلاحي المعروف، كما قد يدل على معنى "الفصاحة" أو "صناعة الكلام".

ب – اعتماد التمثيل في بيان معنى المصطلح:

ونقصد بذلك إطلاق المصطلح في بعض النصوص، وإردافه بأمثلة وشواهد شعرية أو نثرية غالبا ما تكون مصدرة بمثل قوله: "ونظيره"، و"مثله" و "قوله" و"في أسلوبها قول القائل" و"فهو من وادي قوله"، وغيرها من الألفاظ والعبارات التي تحيل على مثال معين أو شاهد محدد يُستشهد به، وقد يكون الشاهد بيت شعر أو آية قرآنية. ومثال الاستشهاد ببيت شعري قول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا)[1]، قال: «...هذه الجملة في حسن استئنافها غاية، وفي أسلوبها قول القائل [طويل]:

وَ جَارَةُ جَسَّاسٍ أَبَأْنَا بِنَابِهَا كُلَيْبًا غَلَتْ نَابٌ كُلَيْبٌ بَوَاؤُهَا"[2]

وكمثال الاستشهاد بآية قرآنية أو أكثر قول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وتولّى عنهم وقال يا أَسَفَى على يوسُفَ وابْيَضّت عيناه من الحزن فهو كظيمٌ﴾[3]، فقد نبه فيه الزمخشري على: «التجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع، ونحوه: ﴿اثَّاقَلْتُم إلى الأرض أَرَضِيتُم﴾[4]...»[5].

ومثال ذلك عند أبي حيان قوله في تفسير الآية:(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ)[6] والإلقاء حقيقة في الإجرام، واستعير هنا للجعل، **ونظيره**: (والذين يرمون المحصنات) **ومثله قول الشاعر**(الفرزدق):

---

[1]- الآية 21 من سورة الفرقان.

[2]- الكشاف: 88/3.

[3]- الآية84 من سورة يوسف.

[4]- بعض الآية 38 من سورة التوبة.

[5]- الكشاف: 338/2.

[6] - الآية 151 من سورة آل عمران.

هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا *** عَلَى النَّابِحِ العَاوِي أَشَدَّ رِجَامِ"[1].

ج- قياس المصطلح على نظيره وتنزيله منزلته، ومن ذلك مثلا مصطلح "الفواصل" في الآيات الذي قاسه الزمخشري على مصطلح "القوافي" في الشعر،قال في تفسير الآية: (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا)[2]: «يقال: ضلّ السبيل وأضله إياه، وزيادة الألف لإطلاق الصوت: **جعلت فواصل الآي كقوافي في الشعر، وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع، وأن ما بعده مُستأنف**»[3].

المبحث الثالث: غموض استعمال المصطلح:

تم رصد ظاهرة الغموض في استعمال المصطلح عند الزمخشري في كشافه، وتمثلت في تمييزه بين بعض المصطلحات وبعضها الآخر في إطار تفسير آية من الآيات، و اعتبارها مترادفة في موضع آخر من التفسير في سياق تفسير آية مشابهة في مضمونها وطريقتها، ويمكن بيان ذلك بقول الزمخشري في تفسير الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[4]، «وقوله:

---

1 - البحر المحيط: 83/3.

2 - الآية 67 من سورة الأحزاب.

3- الكشاف: 545/3.وقد استفاد الزمخشري ذلك من قول الجاحظ، ومن قول عبد القاهر الجرجاني؛ قال السيوطي في " الإتقان في علوم القرآن: 143/1. " قال الجاحظ:سمى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، سمى جملته قرآنا، كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضه آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية" وقال عبد القاهر في دلائل الإعجاز ص: 387: " إنما الفواصل في الآي كقوافي الشعر...فلو لم يكم التحدي إلا إلى فصول من الكلام يكون لها أواخرُ أشباه القوافي، لم يُعوزهم ذلك..."

4- الآية 172 من سورة الأعراف.

(ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا) من باب التمثيل والتخييل...»[1]. وقوله في تفسير قوله تعالى:﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[2]: «ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما: أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه، ووجدتا كما أرادهما، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع، وهو من المجاز الذي يسمى التّمثيل. ويجوز أن يكون تخييلا... »[3]

فهذه الآية التي جعلها من قبيل التمثيل، أو من قبيل التخييل قد ذكرها مثالا للتمثيل والتخييل في النص الأول، مما جعل مصطلحي "التمثيل" و"التخييل" يشوبهما بعض الغموض، نظرا لوجود فرق –في النص الثاني- في تحليل الأسلوب على طريقة التمثيل وبين تحليله على طريقة التخييل؛ فطريقة التمثيل هي طريقة الاستعارة التمثيلية، في مفهوم المتأخرين، أما طريقة التخييل فهي أقرب إلى فرض الأشياء.

المبحث الرابع: عدم ذكر المصطلح والاكتفاء بالتعبير عنه بالمفهوم:

بتتبع نصوص "الكشاف" و"البحر المحيط" يمكن استنباط عدة مفاهيم تعتبر أساسا لتبيين معاني بعض المصطلحات التي لم يسمها المفسران باسم محدد؛ ومن ذلك مثلا بعض أنواع المجاز المرسل[4]، وبعض أنواع الاستعارة...[5] وغيرها. وقد أومأ إلى هذه النقطة كل من الدكتور محمد أبو موسى في كتابه: البلاغة القرآنية في

---

[1]- الكشاف: 169/2.

[2]- الآية: 11 من سورة فصلت.

[3]- الكشاف: 445/3.

[4]- كالسببية، والمسببية، والحالية، والمكانية...

[5]- كالاستعارة الأصلية، والتبعية، والتمثيلية، والتخييلية...

تفسير الزمخشري[1]، والدكتور سعد محمد علي التميمي في مقاله: اتجاهات البلاغة في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي[2]؛ فلا داعي لتكرارها.

المبحث الخامس: تعدد الأسماء للمفهوم الواحد والعكس:

يمكن حصر بعض مظاهر التعدد عند الزمخشري وأبي حيان من خلال الظواهر الآتية:

أ- **الاشتراك:** وهو ما يعرف اختصارا: بما اتحد لفظه، واختلف معناه؛ وقد حَدَّه علماء الأصول "بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[3].

يظهر التعدد المعنوي للفظ الواحد عند الزمخشري، في تراوح معاني المصطلح بين معنيين وستة معان.

ومن بين المصطلحات البلاغية المشتركة المستعملة في "الكشاف" مصطلح "البيان" الذي يدل في استعماله على المعاني الآتية:

- المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير.
- الكلام الفصيح العظيم الشأن، البالغ حد الإعجاز، ولذلك وصف به كلام الله تعالى.
- إظهار المعنى بالكشف عن الموصوف وتفضيل مفهومه وتجليته.
- توضيح المعنى وإظهاره والكشف عنه ليفهمه المتلقي بسهولة ويسر.
- تمام الحسن في الكلام.
- عبارة عن أن يقع في لفظ مبهم ما يفتقر إلى توضيح فيؤتى بما يكون شرحا له.

ومن هذه المصطلحات مصطلح "النظم" الذي يدل في استعماله على:

---

[1]- ص: 496 وما بعدها.

[2]- مجلة آداب المستنصرية (الجامعة المستنصرية). العدد:46 السنة: 2007م. ص: 8 وما بعدها.

[3]- المزهر: 369/1.

- بيان الروابط والعلاقات بين الجملة أو الجمل، والبحث عما وراء الصناعة النحوية وتفسيرها.
- تلاؤم أول الكلام وآخره وتناسبهما كأن كلا منهما يجيب عن الآخر.
- توضيح المدلول وتحديد مواقع الجمل في نظام الكلام من حيث استقامة المعنى وتوضيح المفهوم.
- الكلام الموزون.

وغيرها من المصطلحات الكثيرة.

وقد رصدنا الظاهرة نفسها عند أبي حيان في تفسيره. ومن أمثلتها:

- **مصطلح البلاغة**، الذي يدل في استعمالاته على المعاني الآتية:

. علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع).

. الصورة المثلى التي جاء عليها أسلوب القرآن الكريم.

. الفصاحة(في أحد معانيها).

ـ صناعة الكلام وحسن سبكه، والوصول إلى المعاني البديعة بالألفاظ الحسنة.

- **ومنها مصطلح "المجاز"** الذي يدل في استعماله على:

ـ العدول عن ظاهر اللفظ، فيراد غير معناه الحقيقي لغير المشابهة وينقل عن حكم إلى آخر.

. اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الموضوع له، وتشمل الاستعارة والتمثيل.

. إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول.

. الاستعارة.

ولعل هذا التعدد المعنوي في هذين التفسيرية، راجع إلى أسباب منها:

. عدم الاهتمام بالتقعيد إلا في حالات نادرة.

ـ الاختلاف في تحديد معنى المصطلح عند البلاغيين قبل الزمخشري وأبي حيان.

ب - **الترادف:** و"يعتبر الترادف من أهم الظواهر التي تخضع لها التعبيرات الاصطلاحية"[1].

ومن أمثلته الكثيرة: ("البلاغة"، و"الفصاحة "،والجزالة). و("علم البيان"، و"نظم القرآن"، و"البيان"). و("الإيضاح"، و"التفسير"، و"التفصيل")؛ و("المجاز الحكمي" و"الإسناد المجازي")... إلى غير ذلك من المصطلحات التي تسمي مفهوما واحدا بأسماء متعددة.

والناظر أيضا في تفسير البحر المحيط يجد أن ظاهرة ترادف المصطلحات منتشرة بكثرة، ومن أمثلة ذلك:

- ("البيان" و"الفصاحة"، و"التفسير"، و"التفصيل").
- ("النظم" و"التأليف").
- ("الإيجاز"، و"الاختصار").

"إلى غير ذلك من الألفاظ التي يظهر أنها تسمى مفهوما واحدا بأسماء متعددة"[2].

ومع ما يمكن أن تؤدي إليه هذه الظاهرة من غموض والتباس وقلة في الضبط، "إلا أنها تظل مع ذلك ظاهرة صحية في بعض جوانبها، لكونها تحمل على المقارنة الدقيقة والغوص في أعماق الدلالات الجزئية للمصطلحات المتماثلة أو المتقاربة معنويا، وفي ذلك ما فيه من إخصاب فكري ولغوي واضح"[3].

---

[1]- التعبير الاصطلاحي، كريم زكي حسام، ص: 81.

[2] - مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: 83.

[3]- المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق(رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا) إعداد: محمد أمهاوش. إشراف الدكتور الشاهد البوشيخي. نوقشت بكلية الآداب ظهر المهراز بفاس سنة: 1412هـ / 1992م. ص:40.

المبحث السادس: استيعاب جهود السابقين في الاستعمال المصطلحي مع إبقاء الصيغة الاصطلاحية للمصطلح، والتعمق في استنباط الفوائد والمقاصد بتوظيف مصطلحات غير مركزية:

ويمكن التمثيل على ذلك بمصطلح (التكرار) عند الزمخشري. فقد تساءل عن سر ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، وحاول تعليل ذلك في قوله في تفسير الآية الكريمة:(فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ)[1]: "فإن قلت: ما فائدة **تكرير** قوله:(فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مدّكر)؟ قلت: **فائدته أن يجدّدوا عند استماع كل نبإ من أنباء الأوَّلين ادكاراً واتعاظاً، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشن تارات؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير، كقوله: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)**[2] **عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن، وقوله:** (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)[3] **عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان"**[4].

ومن **الفوائد والمقاصد، اشتراط أن يكون التكرار مما يقتضيه معنى الكلام، قال** الزمخشري في تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)[5]: "فإن قلت: فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام؟ قلت: لأن **تكرير اللفظ الواحد في الكلام**

---

[1]- بعض الآية: 39 من سورة: القمر.

[2]- الآية: 13 من سورة الرحمن.

[3] - الآية: 15 من سورة المرسلات.

[4]- الكشاف: 428/4.

[5] - الآية: 14 من سورة العنكبوت.

الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك"[1].

وقد استنبط الزمخشري عدة فوائد للتكرار في القرآن الكريم، مستعملا مصطلحات غير مركزية في شجرته المصطلحية، ومستعينا بها للوصول إلى وصف إعجاز القرآن الكريم ودقة بلاغته، وهذه المصطلحات هي:

* **الوعظ، والتذكير، والتقرير**: في تفسير قوله تعالى[2]: (فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ، وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)في مواضع مختلفة من سورة القمر[3]: وقد تقدم في نص سابق[4].

***التشديد، والتهويل، وإلزام الحجة**: قال في تفسير قوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)[5]: "... والتكرير لزيادة التهويل"[6].

***المبالغة**: وذلك ما يفيده التكرير في قوله تعالى: (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ)[7] قال الزمخشري: «في هذا الاستئناف والابتداء **وهذا التكرير: مبالغة في رد مقالة الملإ لأشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم**»[8].

---

[1]- الكشاف: 431/3.

[2]- في الآيتين: 39 – 40 من سورة القمر.

[3]- الكشاف: 428/4. وهذا النوع من التكرير سماه ابن قتيبة: «تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزئ عن بعض». انظر تأويل مشكل القرآن: 235 – 241.

[4]- الكشاف: 428/4.

[5]- الآيتان 17–18 من سورة الانفطار.

[6]- الكشاف: 229/4، انظر أيضا: 671/4 (مصطلح التشديد)؛ و727/4 (مصطلح إلزام الحجة).

[7]- الآية 92 من سورة الأعراف.

[8]- الكشاف: 127/2.

*التأكيد: مثل قول الزمخشري في تفسير الآية: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[1]: «**وقوله (فتبينوا) تكرير للأمر بالتبين ليؤكد عليهم**»[2].

*الاختصاص: مثل قوله في تفسير الآية: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ)[3]: «فإن قلتَ: فلو قيل: ولكن أكثرهم، فلا يتكرر ذكر الناس؟ قلت: **في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم**، وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه»[4].

*التكذيب: مثل قوله في تفسير قوله تعالى: (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ... ﴾[5]«فإن قلتَ: قوله (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) بعد قوله تعالى (قل لم تؤمنوا) **يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة**. قلتُ ليس كذلك، **فإن فائدة قوله (لم تؤمنوا) هو تكذيب دعواهم**... »[6].

---

[1]- الآية 94 من سورة النساء.

[2]- الكشاف: 541/1، وغيرها كثير.

[3]- الآية 61 من سورة غافر.

[4]- الكشاف: 171/4.

[5]- بعض الآية 14 من سورة الحجرات.

[6]- الكشاف: 367/4.

*التقبيح: مثل قوله في تفسير الآية: (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[1]: «**في تكرير (الذين ظلموا) زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرّجز عليهم لظلمهم...**»[2].

وهذه المصطلحات، هي نفسها المستعملة عند أبي حيان، منسوبة إلى الزمخشري أو غير منسوبة. لذا فضلنا عدم ذكرها هنا لكي لا يطول البحث ويحصل التكرار.

والحمد لله رب العالمين

مصادر البحث مراجعه

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة – 1961م.
- اتجاهات البلاغة في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، الدكتور سعد محمد علي التميمي: مجلة آداب المستنصرية (الجامعة المستنصرية). العدد: 46 السنة: 2007م.
- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، المحقق: دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: الدكتور زكرياء عبد المجيد النوتي، والدكتور أحمد النجولي الجمل. دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: الثانية. 1428هـ- 2007م.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد حسنين أبو موسى، الطبعة الثانية، 1408هـ. 1988م. مكتبة وهبة.
- تأويل مشكل القرآن: لابن قتيبة. شرحه ونشره: السيد أحمد صقر. المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1401هـ - 1981م.

[1]- الآية 59 من سورة البقرة.

[2]- الكشاف: 146/1.

- التعبير الاصطلاحي: دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الأولى: 1405هـ. 1985م. المكتبة اللغوية4.
- دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني. تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر، ودار المدني بجدة. الطبعة الثالثة: 1413هـ. 1992م.
- ديوان امرئ القيس: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بمصر، ط: الثانية. (دون تاريخ).
- ديوان توبة بن الحُمَيِّر. تحقيق وشرح الدكتور إبراهيم خليل عطية، الطبعة الأولى 1998م دار صادر بيروت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري. دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، 1397–1977م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري. ترتيب وضبط وتصحيح: محمد عبد السلام شاهين. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م، بيروت – لبنان.
- مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين (قضايا ونماذج ونصوص): الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي، إربد عالم الكتب الحديث السنة، الطبعة الأولى 1430هـ – 2009م.
- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ، الدكتور الشاهد البوشيخي، دار القلم، الكويت، ط: الثانية: 1415هـ - 1995م.
- المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق (رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا) إعداد: محمد أمهاوش. إشراف الدكتور الشاهد البوشيخي. نوقشت بكلية الآداب ظهر المهراز بفاس سنة: 1412هـ-1992م.

- المصطلح النقدي والبلاغي في كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للشيخ عبد القاهر الجرجاني. رسالة أعدها: مصطفى اليعقوبي، وأشرف عليها الدكتور الشاهد البوشيخي. نوقشت بتاريخ 1990م، بكلية الآداب ظهر المهراز بفاس المغرب.
- مفتاح العلوم: للسكاكي. تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1403هـ - 1983م.